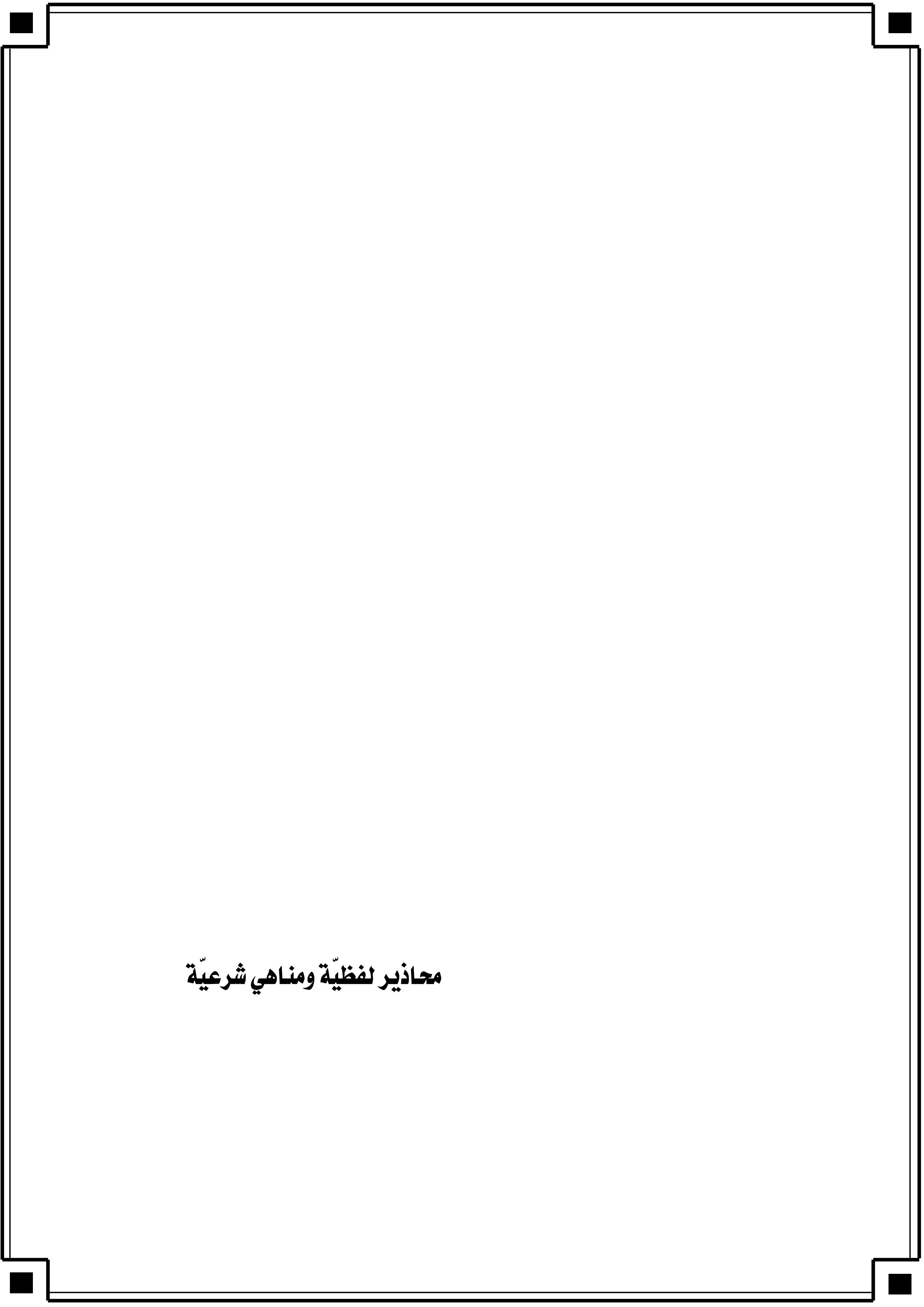


محاذير لفظيّة ومناهي شرعيّة

الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٧/١/٢٢٥)

عيال سلمان، جميل خليل
محاذير لفظية ومناهي شرعية/ جميل خليل "عيال سلمان"._
عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٧.
(٨٨) ص
ر.أ: (٢٢٥/ ١/ ٢٠١٧).

❖يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN 978-9957-77-434 -9 (ردمك)

دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : daralmamoun2005@hotmail.com

محاذير لفظيّة ومناهي شرعيّة

بقلم العبد الفقير إلى الله

جميل خليل "عيال سلمان"



دار المأمون للنّشر والتَوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلِلْ فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء:١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب٧٠:٧١]

أما بعدُ؛ فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هديُ محمدٍ (ﷺ) وشر الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكل بدعة ضلالةٌ، [وكل ضلالةٍ في النار]".

فهذا كتاب يعالج بعض آفات اللّسان، والّتي اعتاد النّاس النّطق بها، بدون النّظر إليها من ناحية شرعيّة. ومن باب إحسان الظّنّ فغالب الّذين ينطقون بتلك المناهي لا علم لهم فيما يترتب عليها من إثم كبير، أو عذاب أليم.

فالكلام الّذي يخرج من فم المرء، إمّا أن يكون من رضوان الله، وإمّا أن يكون من سخط الله، كما جاء في الحديث" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»[١]. ولقد جاء الإسلام ليهذب خلق اللّسان والإنسان ليستقيم على ما أراده الله له من خير فإنّه باستقامة اللّسان استقامة الجوارح فهو الآمر والنّاهي لها كما جاء في الحديث«إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن

---

١ -أخرجه البخاري برقم ٦٤٧٨

استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججن»[1].

ولقد أمرنا الله ﷻ في كتابه والنّبي (ﷺ) في سنته في غير موضع في انتقاء طيّب الكلام ومحاسنه والانتهاء عن سخط الكلام وسيئه، فنهى عباده المؤمنين عن قول راعنا في حقّ النبي (ﷺ)؛

لما يترب عليه مناهي شرعيّة، والتشبّه باليهود في أقوالهم السئة:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[البقرة:١٠٤].

ولقد أرشدنا النّبيّ (ﷺ) إلى تصحيح الألفاظ الّتي تؤدّي للشرك كما جاء في الحديث "عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) عَامَ الحُدَيْبِيَةِ، فَأَصَابَنَا مَطَرٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) الصُّبْحَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟». قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: «قَالَ اللَّهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَبِرِزْقِ اللَّهِ وَبِفَضْلِ اللَّهِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَجْمِ كَذَا، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ كَافِرٌ بِي»[2]

وقد صنّف بعض أهل العلم كتباً مفردة في المناهيّ اللفظيّة وأوسعها وأجملها كتاب "المناهي اللفظيّة للعالم الكبير" بكر أبي زيد رحمه الله" فهو كتاب جامع ماتع لمن أراد قراءته.

فالله أسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ويوفقنا للكلم الطّيّب وأصوبه، وأن يجعل عملي خالصاً لوجه الله "ذي الجلال والإكرام" وذي العظمة والامتنان والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

الأثنين ٥/ ربيع الأول/ ١٤٣٨.

---

١ - أخرجه الترمذي برقم وحسنه٢٤٠٧ صحيح وضعيف الترمذي برقم ٤٠٧٢

٢ - أخرجه البخاريّ برقم ٤١٤٧.

كيدكنّ عظيم ، وكيد النّساء أشدّ من كيد الشّيطان

هـذه المقولـة، مقتبســـة من كتـاب الله عزّ وجـلّ. قـال تعـالى: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف:٢٨] ، حتّى أصـبحت الآية ُتقال من باب الأمثال، في كيد النّساء ومكرهنّ؛ حتّى أصــبح مكر أمرأت العزيز، والنّســوة اللّاتي قطّعن أيديهنّ؛ وسمة عار، على نســاء العالمين، ما إن تفعل المرأة عملاً سـيئاً؛ ســواء كان العمل مقصــوداً، أو غير مقصـــود، كبيراً، أو صـــغيراً، حتّى يُقال لها: إنّ كيدكنّ عظيم. إنّ إطلاق الأحكام على عمومها، بدون إذن شــرعيّ فيه إثم عظيم، وعلامة على ســفه، وجهل قائله، فليس كل عمل قد تلبســت به امرأة، يدل على مكرها وكيدها، وليس الكيد والمكر من الأمور الجبليّة الّتي فطر الله عليهـا النّســـاء، وكذلك الرّجال! بل الكيد والمكر اكتســاب كبقية المعاصـي، والذّنوب، وإن أتت المرأة بشــيء فيه حيلة، فلا ينبغي أن يعمم الحكم على جميع النّســاء، بل يطلق الحكم على فاعله فقط، أو يُعبّر بأحســـن الكلام كقول النبي(ﷺ) كما قال لعائشــة رضي الله عنها، كما جاء في الحديث: " أَنَّهَا قَالَتْ: إِنَّ رَسُـولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ فِي مَرَضِـهِ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَـلِّي بِالنَّاسِ» قَالَتْ عَائِشَـةُ: قُلْتُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْـمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَـلِّ لِلنَّاسِ، فَقَالَتْ عَائِشَـةُ: فَقُلْتُ لِحَفْصَـةَ: قُولِي لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ، فَقَالَ رَسُــولُ اللَّهِ (ﷺ): «مَهْ إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَــوَاحِبُ يُوسُــفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَـــلِّ لِلنَّاسِ»[١]. معنى قول النبيّ (ﷺ): وَجْهُ الْمُشَابَهَةِ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ أَنَّ زُلَيْخَا اسْتَدْعَتِ النِّسْوَةَ وَأَظْهَرَتْ لَهُنَّ الْإِكْرَامَ بِالضِّيَافَةِ وَمُرَادُهَا زِيَادَةٌ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ أَنْ يَنْظُرْنَ إِلَى حُسْـنِ يُوسُـفَ وَيَعْذُرْنَهَا فِي مَحَبَّتِهِ وَأَنَّ عَائِشَـةَ أَظْهَرَتْ أَنَّ سَـبَبَ إِرَادَتِهَا صَـرْفَ الْإِمَامَةِ عَنْ أَبِيهَا كَوْنُهُ لَا يُسْـمِعُ الْمَأْمُومِينَ الْقِرَاءَةَ لِبُكَائِهِ وَمُرَادُهَا زِيَادَةٌ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ أَنْ لَا يَتَشَـاءَمَ النَّاسُ بِهِ وَقَدْ صَـرَّحَتْ هِيَ فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَتْ لَقَدْ رَاجَعْتُهُ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى كَثْرَةِ مُرَاجَعَتِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي قَلْبِي أَنْ يُحِبَّ النَّاسُ بَعْدَهُ رَجُلًا

١ - رواه البخاريّ رقم ٦٧٩

قَامَ مَقَامَهُ أَبَدًا[1].

لمّا ظهر من عائشـــة ما ظهر، لم يقل لها رســـول الله: كيدكنّ عظيم، بل خاطبها بخطاب حسن لا تكرهه الأنفس بل تتقبله، وأيضاً هذا الخطاب قد بيّنه الله سبحانه وتعـالى، بأنّه من قول العزيز، وإخبار من الله تعالى عن مشــــهد مكر امرأة العزيز؛ حين مكرت وكادت ليوسـف في مراودته عن نفسـه، وقد هيئت نفسـها له، وحينما كادت، واحتالت على النّسوة؛ بدعوتهنّ للطعام، وليس لذات الطّعام، بل ليعذرنها على صـنيعها بما سوف يشاهدنه من الفتنة في جمال يوسف عليه السلام فيحصل لها بذلك العذر، ثم الكيد الآخر: بأنّ أدخلته الســجن بضــع ســنين، فلمّا أظهر الله براءته، وصـــرف عنه كيدهنّ، قال زوجها(إنّ كيدكنّ عظيم) لا شــك في كيد امرأة العزيز إنّه لعظيم؛ دعته للزّنا وهيئت النّسـوة للفتنة به، وأودعته السجن، فكل ذلك كيـدٌ عظيم، إذاً كـان الخطـاب والإخبـار عن امرأةٍ ونســـوة في المدينة كنّ في زمن، ومكان مخصـصين، فلا ثمة حاجة للتعميم، وتفضيل كيد النّساء على الرّجال وعلى الشيطان. وأيضاً ليس كيد النساء بأعظم من كيد الشّيطان! فهذا فهم سقيم، حينما يُستدلّ بقول العزيز لمرأته ﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النســـاء:٧٦]. لا شـك بأنّ كيد الشيطان أشدّ وأعظم من كيد النّساء، بل أكثر النّســـاء يـدخلن النّار بســـبب كيده ومكره، ومفهوم الآية لا يدل على براءة الشيطان من كيد وشرّه العظيم، بل لها مفهوم غير ما يفهمه العامة من الناس،

فالشيطان وإن بلغ مَكْرُهُ مهما بلغ فإنّه في غاية الضعف، الّذي لا يقوم لأدنى شيء من الحق ولا لكيد الله لعباده المؤمنين[2]. ففي غير موضع من القرءان بين الله سبحانه وتعالى عداوته الشّديدة لآدم، وذريّته وقعوده لهم في كل صراط مستقيم، ليُضلهم عن الحقّ المبين. ففي تفضيل كيد النّساء على كيد الشّيطان؛ تحريفٌ للكلم عن مواضعه وتنقيص للنّساء والحطّ من قدرهِنّ.

١- فتح الباري ج٢/ ص: ١٥٣.

٢ - تفسير السعدي ١٨٧.

العمل عبادة

اشتهر على ألسنة كثير النّاس، حديثاً لا أصل له "العمل عبادة" ومعنى أنّه لا أصل له؛ بأنه ليس من قول النّبي (ﷺ) ولا اسناد له وهو ما اشتهر على ألسنة النّاس، حتّى ظنّه كثير من النّاس بأنّه من قول رسول الله (ﷺ)؛ لربما فهم غالب النّاس هذا الكلام من حديث النّبيّ (ﷺ) "«إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان»[1] .

لا يصحّ أن يقال العمل عبادة على إطلاقه؛ بل الذي يطلق عليه عبادة ما تعلّق بالأعمال الشّرعيّة، لا العمل الذي من جهة الأمور الّدنيويّة، ولكن يقال العمل الذي يتعلق بأمور الدّنيا، يكون عبادة بحسب النّية، كما جاء في الحديث، ولكن ثّمة فرق بين الأعمال الشرّعية، وبين الأعمال الدنيوية، فالعمل الشّرعي مطلوب لذاته، وفيه تقرّب إلى الله سبحانه وتعالى، ويبنى عليه ثواب، وعقاب، امتثالاً لله، وأمّا ما يتعلق بأمور الدنيا فهو من المباحات الّتي لا يترتب على فعلها ولا تركها ثواب ولا عقاب، ولكن قد يثاب عليها بالنية، لقول رسول الله (ﷺ): "«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[2].أيضاً قول القائل العمل عبادة، يأتي في معرض التّقصير في العبادات، مثال ذلك: كرجلٍ يعمل عملاً ما فيدخل عليه وقت صلاة الظّهر حتى لا يبقى بينه وبين العصر إلاّ قاب قوسين، أو أدنى، فيقال له لا تأخر صلاة الظّهر فيقول"العمل عبادة" لا شك بأنّ العمل ليس عبادة، والذي هو عبادة ما شرعه الله، فمن اشتغل بالمباح عن المشروع فهو مغرور،

---

١ - أخرجه الطبراني في الكبير وصححه الألباني في جامع الصحيح رقم ١٤٢٨.

٢ - رواه البخاري رقم٥٤/ ومسلم رقم١٥١٥.

ومن اشتغل بالمشروع عن المباح فهو معذور، فلا ينبغي للمرء أن يعتذر لتقصيره، بعذر باطلٍ مختلقٍ؛ لكي يطمئن نفسه عن سبب تقصيره، ونفسه تعلم علم اليقين على ما فرّط في جنب الله، وكلنا ذو تقصير وتفريط، والله المعين على طاعة، والثبات على أمره.

اعمل والباقي على الله

يكثر قولها؛ وذلك عندما يبحث إنسان عن عمل، أو عن أيّ أمر آخر، فيُقال له اعمل، والباقي على الله، لا شكّ بأنّ النّاس لا يقصدون بها شرّاً، بل غالب قصدهم هو التّوكل على الله، وتفويض الأمر إليه، ولكن تبقى الكلمة ضمن المناهي الشرعيّة، والعبرة بالمباني والمعاني، أي: بأنّ الإنسان لا يحتاج إلى الله إلاّ إذا لم يستطع الحصول على مأربه، وغايته، وتدل الكلمة دلالة واضحة على عدم التوكل المطلق على الله عزّ وجلّ؛ فالواجب على المسلم أن يفوض جميع أمره لله قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:٨١]، وقال تعال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان:٥٨]، فكل الأمر لله فلا يتجزأ بين الله، وبين مخلوقاته فهذه عقيدة باطلة، وانتقاص لذات الله، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٢٣]، وكما بين الله عن حال عباده في حقية توكلهم: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر:٤٤]، فبادئ الأمر، وآخره لله كما قال تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ﴾ [الروم:٤]، ليس لك أيها المسلم من الأمر من شيء، فكل ما تفعله، وتترقبه فهو في مشيئة الله، وقدرته وفي خزائنه، رفعت الأقلام، وجفت الصّحف.

قول القائل (الله يظلمك)

من المناهي الشرعيّة الّتي يتلفظ بها كثير من المظلومين على من ظلمهم؛ أومن تعدّ عليهم في البغي قولهم : (الله يظلمك كما ظلمتني) فينسب لله الظلم، ويصف الله بصفة النقص الّتي لا تليق بعدله، وهي صفة سلبيّة على الإطلاق، فيظنّ المظلوم أنّ من عدل الله أن يأخذ حق المظلوم من الظالم بصفة الظّلم! تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. ليعلم المسلم بأنّ الظلم، ليس من صفات الله الذّاتيّة، ولا الفعليّة، بل هي صفة سلبيّة ونقص في البشر، ولله المثل الأعلى، فكيف نصف الله بها! فالظلم يستحيل على الله؛ لأنّه ضدّ العدل، وحرّم الله الظلم على نفسه وحرمه على جميع خلقه، كما جاء في الحديث القدسيّ :" عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا"[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠]. تبيّن ممّا سبق بأنّه يحرم على المسلم بأن يصف الله بصفة لم يصف الله بها نفسه؛ لأنّ هذا إلحاد في أسماء الله وصفاته ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام:٩١].

١ - رواه مسلم رقم ٢٥٧٧.

قول القائل: أنا لا أعمل المحرّمات ولكنّي مقصر بالصّلاة

عندما يُنكر على مسلم في تقصيره في الواجبات كالصّلاة، وغيرها من العبادات الواجبة على المكلّف؛ إلّا وتجده يعتذر عن ذلك بقوله أنا لا أزني، ولا آكل الرّبا كفعل فلان وفلان، ويفعلون الموبقات وهم يصلون! يأتي بهذه الأعذار؛ ظنّاً منه أنّ ترك الواجبات أقلّ ضرراً عليه من فعل المحرمات! والذّي عليه جماهير أهل العلم بأنّ فعل جنس المأمو، أعظم من جنس ترك المنهي عنه، وقد قرر ذلك شيخ الإسلام فقال: "إنّ جنس فعل المأمور به، أعظم من جنس ترك المنهي عنه، وأنّ جنس ترك المأمور به أعظم من جنس فعل المنهي عنه، وأنّ مثوبة بني آدم على أداء الواجبات، أعظم من مثوبتهم على ترك المحرمات، وأنّ عقوبتهم على ترك الواجبات أعظم من عقوبتهم على فعل المحرمات[1] . والأدلة على ذلك كثيرة كما سبرها أهل العلم في مصنفاتهم، ومن الأدلة على ذلك: قصّة آدم عليه السّلام، مع عدوّه إبليس، فإنّ آدم كانت معصيته كما أخبر الله سبحانه وتعالى، أكله من الشّجرة الّتي نهاه عنها، وكانت معصيته بأن فعل المحظور، وتاب الله عليه، وأمّا إبليس فكانت معصيته ترك المأمور به من السجود لآدم فتكبر عن أمر ربه، فاستحق اللعن والطّرد والخلود في النّار، ومن الأدلة أيضاً أنّ الواجبات محبوبة إلى الله بذاتها وأعلاها وأفضلها كلمة التّوحيد ثم أركان الإيمان والإسلام، وأمّا المحرمات فهي مبغوضة لله ولا يرضها لعباده، ولكنّ الله يحب من عباده تركها، فقد تبيّن من ذلك؛ بأنّ ترك الصلاة أعظم ذنباً من فعل المحرمات، وترك فعل المحرمات في جانب التفريط في الصلاة فلا حجة فيه للمُعذِرِ عند الله سبحانه وتعالى، وفاعل الكبائر وإقامته للصلاة فيه عذر لصاحبه عند الله إنْ شاء عذّبه وإن شاء غفر له كما هو مقرّر في كتب العقيدة في مآل أصحاب الكبائر يوم القيامة.

---

١ - مجموع الفتاوى/ ج٢/ ص:٨٥

قول القائل: "الله يعطي اللّحم للّذي ليس له أسنان

كبرت كلمةً تخرج من أفواه الحاسدين، عندما يروا النّعمة على أصحابها، إن كانت نعمة في الولد أو في المال، أو الجاه، أو النّسب، أو في الملك، أو أي نعمة أنعمها الله عليهم! فهذه الكلمة هي من سخط الله لما فيها من عدم تنزيه الله عن النّقائص، ومقتضى تلك الكلمة؛ بأن ينسب الظلم والجور لله، وانتفاء عدله ومحاباته لمن لا يستحق ذلك، وأنّ خزائن الله لا تعطى على سبيل العدل! تعالى الله علواً كبيراً عمّا ينسب إليه، إنّ الحاسد مريض القلب واللّسان إن تكلّم تكلّم بشرّ، وإن صمت صمت على غشٍ وكراهيّته على ما قدّره الله لعباده فينتكس قلبه وتنتفخ أوداجه غيظاً على الله وعلى المحسود صاحب النّعمة.

ولخطر الحسد على صاحبه وعلى المحسود، فإنّ الله قد حرّمه، وحذر عباده منه وأمرهم بالاستعاذة منه ومن الحاسد؛ لأنّه يودي بصاحبه إلى الكفر وإلى القتل وإلى كثير من معاصي الله، وهو بابٌ لجمع الشرّ، قال تعالى في ذمّ الحسد وأهله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق]، فضل الله يؤتيه من يشاء فلا ينبغي حسده كما بين الله سبحانه عن أصناف فاجرة كافرة ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾٥٤/ النّساء.

ولقد نهى النبي (ﷺ) عن الحسدعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ)، قَالَ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»[1].

ومن عدل الله سبحانه وتعالى أنّه يعطي المسلم والكافر، والقوي، والضّعيف، والعبد والسيّد، والصّغير والكبير، لكنّ الحاسد لمّا يرى نعمةً على أخيه يتمنّى زوالها ولا

---

١ - رواه مسلم رقم٢٥٥٩

يعلم لربما الخير له بفقره، وغنى الغنيِّ سببٌ لعذابه، كما قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة:٢١٦].

ففي هذه المقولة محاذير: أولاً: تفصح عن سريرة قائلها بأنّه ليس براضٍ على ما آتاه الله من فضله لخلقه.

ثانياً: وصف الله بالظلم والجور وهذا كفرٌ وسببٌ للرّدة.

ثالثاً: الاعتراض على الله فيما يقدره وشاؤه.

فعلى المسلم أن تطمئن نفسه على ما قسمه الله لها من غير تأففٍ ولا حسد ولا تسخّطٍ ومن غير رمي البصر لمن هو فوقه فحينئذٍ يسكن قلبه، وجوارحه ، ويشكر المنعم، ويحمده على قسمه له، ولا يزدري نعمة الله عليه، كما جاء في الحديث "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ"[1].

١ - رواه مسلم رقم٢٩٦٣.

كلب صديق ولا صديق كلب

يُقال هذا المثل في ذمّ الصّديق الّذي ظهرت بوائقه، أو أخطأ في حقّ صديقه، فكثيرٌ من النّاس يتسرّع في الحكم على النّاس ومعاقبتهم، من غير حلمٍ، ولا أناة، وهذا الّذي يحصل بين الأصدقاء، والخلّان، ما إن يقع الشّر بينهم؛ حتى يصف أحدهم الآخر بأنه كلب! ويفضل عليه الكلب الجارح! في وفائه لصاحبه، حتى أفرط النّاس في استخدام هذا المثل فيطلقونه على الصديق، سواء إن ظهرت منه زلة بعمد، أو بغير عمد، وسواء كانت الزّلة صغيرة أم كبيرة.

ففي هذا المثل محاذير شرعيّة: أولاً: عدم تكريم المسلم على سائر البهائم ومخالف لقول الله (عزّوجلّ) حين كرّمه الله على سائر مخلوقاته: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء:٧٠]، ثانياً: فيه خصلة من النفاق، وهي: إذا خاصم فجر،لقول رسول الله(ﷺ):"عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ"[1]. ثالثاً: الفحش في الكلام، وهذا ليس من صفات عباد الرّحمن الّذين أمرهم الله بالقول الحسن حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء:٥٣]، وقال (ﷺ):"عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلاَ اللَّعَّانِ وَلاَ الفَاحِشِ وَلاَ البَذِيءِ"[2]، رابعاً: التسرع في الحكم على النّاس والتسرّع في العقوبة، حيث إنّ الغالب في الأصدقاء لا يعذرون ولا

---

١ -رواه البخاري برقم٣٤ ومسلم برقم٥٨،

٢ - رواه الترمذي رقم١٩٧٧/ وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٣٢٠.

يعتذرون، بل تعميم الحكم بمجرّد ظهور أمارات الشـــرّ وينســـون يدَ النّعم على بضـعهم بعضـاً، وكأنّهم لم يروا من بعضهم خيراً قطّ، وينعدم الصّبر بينهم، وحينئذٍ تظهر سـفاهتهم على بعضهم، لِيعلم المسلم بأنّ الحلم، والأناة يحبهما الله(ﷻ) قَالَ رَسُـولُ اللهِ (ﷺ) لِلْأَشَـجِّ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: " إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ "[1]،الحلم: (عدم التّسـرع في العقوبة) والأناة: (عدم التّسـرع في الحكم على النّاس)، المحاذير كثيرة وكبيرة، ولكن على المسـلم أن لا يستخدم ألفاظاً تغضب الله سبحانه وتعالى، ويتعدّى أثرها السّيء على أخيه المسلم، بل على المسلم أن يتجاوز ويغفر ويصـفح، ولا يشـبه المسـلم بالكلب من أجلّ تجربة عاشها مع صديق، فكلّنا ذو خطأ.

صلّ على كوم أنبياء

قول ذلك ينبئ عن قلة أدب قائله تجاه أنبياء الله، واستخفافاً في قدرهم، وعلّو شأنهم عند الله سبحانه وتعالى، فقول القائل ذلك عامداً، أو لاعباً، فإنّه من جنس الكفر.

ولأنبياء الله عزّ وجلّ حقوقٌ عظيمةٌ علينا: الأيمان بهم، وتصديقهم، ومحبتهم، وتوقيرهم، والصلاة عليهم بأدب وتوقير.

ولقـد أمر عبـاده بتوقيرهم، قال تعالى: ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح:٩]، قال ابن عباس رضـــي الله عنهما وغير واحد: تعظموه وَتُوَقِّرُوهُ مِنَ التَّوْقِيرِ وَهُوَ الِاحْتِرَامُ وَالْإِجْلَالُ وَالْإِعْظَامُ[2]، وإن كان الخطاب في حقّ النّبيّ (ﷺ) فيدخل فيه كلّ نبيّ صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً.

---

١ - رواه مسلم رقم١٧.

٢ - تفسير ابن كثير ج٧ ص٣٠٥.

قول القائل: الخائن يخونه الله أو الله يخونه

تقال هذه الكلمة؛ حينما تحصل خيانة حسيّة أو معنويّة من شخص لشخص، فيدعو المظلوم على الخائن بهذه المقولة لكي يقتصّ من الخائن، ولكن لجهل قائلها في أسماء الله وصفاته، فينسب لله ما لا يجوز في حقّه.

الخيانة: صفة ذمٍ؛ لأنّها في مقابل الائتمان، وهي صفة ذمٍ ونقصٍ في حقِ الإنسان، ولله المثل الأعلى فكيف بحق الله! بيّن الله في كتابه، بأنّ الخيانة من صفات المنافقين الكافرين، وحذّر عباده المؤمنين من اتصافهم بهذه الصّفة الذميمة حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنفال:٢٧]، بل إنّ الله لا يحب الخيانة، ولا من اتصف بها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال:٥٨]، لِيعلم المسلم بأنّ أسماء الله وصفاته توقيفيّة لا اجتهاد فيها، فلا يُسمّى بغير ما سمّى به نفسه أبما وصف به نفسه (عزّ وجلّ) ومعرفة أسماء الله، وصفاته تؤخذ من كتاب الله، وسنة رسول الله (ﷺ)، ولا يجوز أن يوصف الله بها من باب المشاكلة، والمقابلة كما في صفة الخداع، والمكر، والكيد، لمّا ظهرت الخيانة من الكفار، لم يقابلهم بالخيانة كما بين سبحانه ذلك، ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١ ﴾ [الأنفال:٧١]، ولم يقل خانهم الله ،فالخيانة صفة ذمٍ على الإطلاق وليس صفة مدح، وأمّا المكر، والكيد والخديعة فإنّ العرب؛ تعّد ذلك مدح في مقابلة ذلك، وعندما ظهر المكر والكيد والخداع من المنافقين والكفار قابلهم بذلك، من باب دفع الظّالم واستدراجه وأخذه أخذ عزيز مقتدر منتقم،وأخبر سبحانه وتعالى بذلك: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾ [النساء:١٤٢]، ﴿ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال:٣٠]، ﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦ ﴾ [الطارق ١٥:١٦]، ينبغي للمسلم أن يتعلّم عقيدته فيما يتعلق بأوّل حق على العباد، لكي يقدر لله قدره فيما يتعلق بذات الله وأسماء الله،

وصفاته، فيعبد الله على بصيرة من علم.

قول القائل "كبيركم الّذي علمهم السحر"

نســـمع دويّ صـــوت قائلها كثيراً، حينما تُقال لمن عُرف بالكيد، والمكر والدّهاء، وهذه المقولة مقتبســة من كتاب الله من إخبار الله من قول فرعونَ لموســى عندما غلب ســحرته وآمنوا به قال حينها: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ [طه:٧١]، فأوردها النّاس من باب ضـــرب الأمثال، اختلف أهل العلم في اســتخدام بعض الآيات من باب الأمثال على الحقائق والوقائع، قال شيخ الإســلام ابن تيمية: "إن كان ســائغاً فيســوغ بقدر الحاجة"[1]، فتبقى مســألة استخدام القرءان مثلاً في شــيء محرم أو اســتخدامه في باب اللهو واللَعب، لا شــكّ في ذلك بأنّه كفر فيدخل في باب الإستهزاء، ولقد كفّر الله في كتابه من فعل ذلك لعباً ولهواً، واستهزاءً حيث قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ (٦٦)﴾ [التوبة ٦٥:٦٦]،

ففي هذا المثل محاذير، أولاً: منها استخدام الآية على غير مفهومها .

ثانياً: غالب النّاس يستخدمونها من باب التهاون واللعب واللهو، فيطلقون هذا المثل على أيّ حادثة وواقعة.

ثالثاً: من أعظم الفِرى على سيدنا موسى (عليه السّلام) ترديد هذه الآية على غير مفهومها فيوافق قائلها فرعون في كذبه عليه بأنّه ساحر وماهر به.

رابعاً: هذا الخطاب من فرعون (لعنه الله) لموسى حينما رأى آية عظيمة على صدق رسالته ونبوته، قال ذلك فراراً وعناداً من الإذعان والإقرار بوحدانيّة

---

١ - الرد على الشّاذلي ص ٤٧.

الله(عزّوجل).

قول القائل: "امسح وجهك بالرّحمن"

تُقال هذه الجملة عند حدوث الخصومات، والمشاجرات والجدل؛ من أجل تخفيف شدّة الغضب، والإصلاح بين النّاس، لا شكّ بأنّ الناس، لا يقصدون بها قالب معناها، بل مقصدهم تذكيرهم بالله، وإخماد نار فتنة الشّيطان بينهم من كيد نفخه ونفثه، وهمزه، فيستبدلون قول أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بقول "امسح وجهك بالرّحمن"، لكن العبرة بالألفاظ والمعاني، فاللّفظ جسدٌ والمعنى روحه، فلا بدّ من أن تكون الألفاظ والمعاني لا تخالف شرعاً ولا عرفاً حسناً ولا لغة حسنة، فلا تكفي النيّة الحسنة مقابل ترك العمل الصالح وأخذ السيئ من القول، بل على المسلم أن يحسن نيته وعمله.

هذه المقولة هي من سخط الله؛ حيث إنّ المسلم قد أتى بلفظٍ لم يأتي به أحدٌ من السلف ولا من الخلف، وهو منكرٌ من القول، وزوراً، كونه لم ينزه الله عن النقائص ولم يقدس الله عن العيوب وما لا يليق به سبحانه وتعالى، بل وصف الله بصفات سلبيّة محرّمةٌ بإجماع أهل العلم، وهذه الكلمة هي كفرٌ، ولكن لا يكفر صاحبها إلاّ أن يقصد مقتضاها.

بدل أن تقال هذه المقولة عند غضب المتخاصمين، فالنّبيّ (ﷺ) أرشدنا إلى ما هو خير وأبقى، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) وَرَجُلاَنِ يَسْتَبَّانِ، فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): "إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ" فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ"[1]، لِيحذر المسلم عن قول ما لا يليق بجلاله، وعظيم شانه.

---

١ - رواه البخاري رقم٣٢٨٢ ورواه مسلم رقم ٢٦١٠.

"نورك الله بأنوار النّبيّ (ﷺ) أو " صبّحك الله بأنوار النّبي"

يكثر انتشارها بين فرق المتصوفة، والشّيعة، والغالين في إطراء النّبيّ، (ﷺ)، وكثير من عامّة المسلمين، يقولونها؛ تعظيماً للنبيّ وتحصيلاً لبركته، حتّى أصبحت تُقال في الصباح والمساء وكلّ حين، وغالب سبب قولها اعتقاد كثير من الجهلة بأنّ النبيّ(ﷺ) خُلق من نور، وهذا كذب بصريح القرءان والسنّة وإجماع الأمّة؛ بأنّ النّبيّ(ﷺ) مخلوق من ماء مهين كسائر البشر، وأمّا الّذين خُلقوا من نور هم الملائكة(عليهم السّلام)، كما جاء في الحديث: عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»[1]، وبيّن الله ذلك ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ﴾ [السجدة:٨]، الّذي لا ريب فيه بأنّ النبيّ (ﷺ) سببٌ للنور؛لأنّه جاء بوحي القرءان وبالهدى والكتاب المنير، وبه أخرج الله الناس من الظلمات إلى النّور، كما أخبر الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهۡدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ۝١٦ ﴾[المائدة:١٦].

فالحكم الشّرعيّ في تلفظ ذلك: إن اعتقد قائلها بأنّ النبيّ سبب للهداية والنّور فهذا حقٌّ، ولكن لا ينبغي قول ذلك، لأمرين: الأول: لم يتكلم بها أحد من سلف الأمة، ثانياً: من البدع الّتي لم تؤثر عن الصحابة ولا من تبعهم بإحسان، فصحابة رسول الله(ﷺ) أشدّ حبّاً له ولم يثبت عنهم قول ذلك، فعلى المرء أن ينسب الفضل والنّور

١ - رواه مسلم رقم ٢٩٩٦.

لله سبحانه وتعالى كما جاء في صريح القرءان حيث سمّى نفسه ووصفها بالنّور﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور:٣٥]، فخالق النّور هو الله ولا أحدَ غيرُ الله كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام:١]، إذن: ينبغي علم المسلم بأن يتحرز عن قول ذلك لأنّ النبيّ (ﷺ) ميّت وليست له أنوار إلاّ ما بلغه من رسالات الله فهو سبب لذلك النّور والله المستعان.

الدِّين سهل

عندما يفرِّط مســـلمٌ بشـــيءٍ من دينه، كأن لم يتعلّم، أو يعمل، أو يُنكر عليه، حتى يستحضر جواباً، بقوله: الدّين سهلٌ. هذه الكلمة محدثة في الدّين؛ لأنّ الله لم ينعت شرّعه بالسّهولة، بل وصفه بالثّقل، حيث قال عزّوجل: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ **[المزّمل:٥]**، وفي جانب التخفيف وصـف شـرعه بقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ **[البقرة:١٨٥]**، وقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ **[القمر:١٧]**، فقد وصـف الله دينه، بالثقل وفي جانب التّخفيف وصـفه باليسر، ولم ينعته بالسـهولة، وعندما سئل مالك عن مسألة، "فقال: لا أدري، فقيل له إنّها مسألة خفيفة سـهلة! فغضـب، فقال: ليس في العلم شـيءٌ خفيف! ألم تسـمع قوله(جلّ ثناؤه)﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾،؟!! فالعلم كلّه ثقيل، وخاصـّة ما يسـأل عنه يوم القيامة". وللأسـف في هذا الزّمان أصـبحت تطلق هذه المقولة تهاوناً في طلب العلم الشّرعيّ، عندما يُقال لمسلم لم لا تتعلّم القرءان والسنّة على أيدي أهل العلم وتجثوا بالرّكب في مجالسـهم، إلاّ ويعتذر بعذر بقوله: الدّين سـهل ونستطيع تعلّمه من غير معلّم! ولكنّ التّناقض عند من يقول ذلك، إن أراد أن يتعلّم حرفة من حرف الدّنيا فتراه يذهب لأهل الاختصـاص، وأهل الخبرة، وينفق ماله ووقته في سبيل الحصول على ما يريده من أمور دنياه! والآيات والأحاديث والآثار في وجوب وأهمية طلب العلم الشرعيّ كثيرة وهي مسبورة أيضاً في مصنّفات أهل العلم. إذاً لا ينعت الدّين بالسهولة في مقابل التخفيف، وإنّما يقال بأنّه يسرٌ ولم يجعل الله في ديننا من حرج.

الإيمان في القلب فقط

نسمع هذا المصطلح كثيراً عندما يفرِّط المفرِّط بواجب من واجبات الدِّين؛ أو

يقترف منهيّاً عنه، ويُنكر عليه فعله، فيأتي بعذر لا حظّ له من النّظر، فيرتكب به إثما آخر مع تفريطه السابق، فيقول: "الإيمان في القلب ويشير بأصابعه إلى قلبه، ظنّاً منه أن ذلك هو قول الحق في المسألة، ولا يعلم بأنّه أتى إثما عظيماً في تركه أعمال الجوارح؛ حينما قيد الإيمان بتصديق القلب وإضمار النيّة الحسنة، ولا شأن للإيمان بعمل الجوارح! إنّ مثل هذا، لم يقل به ألاّ غلاة المرجئة كالجهمية، وغيرهم، ومن وافقهم. والمرجئة: هم فرقة تقول بأنّ الأعمال ليست من الإيمان، والإيمان عمل القلب وليس عمل الجوارح وعمل القلب هو التصديق فقط، فلا يضر مع الإيمان معصية مالم تكن المعصية كفراً ولا ينفع مع الكفر طاعة، وهذا المفهوم مفهوم يكذبه القرءان والسّنة وإجماع الأمة، والأدلة على ذلك كثيرة، مفهوم تعريف الإيمان عند أهل السّنّة والجماعة جامعٌ مانعٌ موافق للوحيين، فيعرفونه بأنّ الإيمان :(تصديق بالجنان وقولٌ باللسان وعمل بالأركان، وعرّفه شيخ الإسلام ابن تيمية(رحمه الله):قول وعمل: قول القلب واللسان والجوارح، وأنّ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية)[1]، فيؤخذ المسلم عندالله (سبحانه وتعالى) بقلبه وعمل جوارحه، فالإيمان له أركانه، وكذالك الإسلام، ولا يكتمل إيمان العبد إلاّ بهما، كما جاء في حديث جبريل :عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ)، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ (ﷺ)، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ

---

١ - العقيدة الواسطية ص ١١٣

لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»[١].

كذلك العمل أيضاً لا يقبل إلاّ بشرطين، نيّة خالصة لله ، وعمل موافق لسنة النبي (ﷺ)، فأمّا قول القائل الإيمان في القلب فهذا صحيح لا خلاف فيه ولكن لا بد من العمل لقول الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ **[العصر ١:٣]**، فإذا صلحت النيّة صلح الجسد كله بالعمل الصالح وإن فسد القلب فسد الجسد كله لقول رسول الله(ﷺ) "عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ)، يَقُولُ: - وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ - «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[٢] فالّذي في القلب تظهره الجوارح ويكشف صدق اللسان.

فلان بركة أو يا بركة!

إنّ غالب من يقولها يقولها من باب حسن الظّنّ وطيب الكلام وبذله للنّاس، ولا

١ - رواه البخاري رقم ١٩ ومسلم رقم ٨.

٢ - رواه البخاري رقم ٥٢ ومسلم رقم ١٥٩٩.

يقصدون مقتضاها، ومن النّاس من يقصد مقتضاها، بأنّ صاحبها صاحب بركة وفعّالٌ في ملكوت الله، له القدرة على إنزال البركة على العباد حتّى ولو كان ميتاً وهذا ما يعتقده بعض الجهلة؛ بأنّه يتصرف في الكون فيما يريده، فهذا لا شكّ اعتقاد باطل، وكفرٌ صريحٌ، ومن النّاس من يقول ذلك ولكنّ قصده بأنّ فلاناً سبب لحصول البركة، مثال ذلك: كأن يساعد رجلٌ تاجراً في انفاق سلعته وزيادة ربحه في ما باعه، فيقول له التاجر أنت بركة، فهذا لا إثم فيه ولكن بشرط أن لا تصبح علماً عليه كأن يُنادى بغير اسمه وينعت بالبركة ويصبح اللّقب غالب على اسمه، ودليل جواز ذلك ما جاء في الحديث: عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ (ﷺ)، قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُول اللَّهِ (ﷺ) فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ أَوْ بِذَاتِ الجَيْشِ انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي، فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) عَلَى التِمَاسِهِ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، فَأَتَى النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَقَالُوا: أَلاَ تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ؟ أَقَامَتْ بِرَسُول اللَّهِ (ﷺ) وَالنَّاسِ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِي قَدْ نَامَ، فَقَالَ: حَبَسْتِ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) وَالنَّاسَ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي، فَلاَ يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُول اللَّهِ (ﷺ) عَلَى فَخِذِي، «فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا»، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الحُضَيْرِ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: فَبَعَثْنَا البَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ، فَأَصَبْنَا العِقْدَ تَحْتَهُ[1] "، فأسيد رضي الله عنه نسب البركة لعائشة رضي الله عنها بأنّها سبب لحصول البركة من الله على المسلمين كما جاء في الرواية الأخرى: فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: «جَزَاكِ اللهُ خَيْرًا، فَوَاللهِ مَا نَزَلَ بِكِ أَمْرٌ قَطُّ، إِلَّا جَعَلَ اللهُ لَكِ مِنْهُ مَخْرَجًا وَجَعَلَ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ بَرَكَةً»[2].

---

١ - رواه البخاري رقم ٣٣٤ ومسلم ٣٦٧.

٢ - رواه البخاري رقم ٣٧٧٣ .

ومثال الّذي يغلب اللقب عليه بدا اسمه ويسمى بالبركة، ولكنّها من المسائل قليلة الحدوث في مجتمعاتنا الإسلاميّة، وهي تسمية العائن، الّذي يُعرف بإصابته بالعين، فيُطلَق عليه النّاس خوفاً من عينه باسم "البركة" تيمناً بهذا الاسم؛ كي لا يحصل لهم الأذى من عينه! وهذا أيضاً لا يجوز شرعاً؛ لأنّه تطير، وهو من أفعال الجاهليّة الّذين كانوا يتطيرون ببعض المخلوقات من الطّيور، أو الأشخاص أو ببعض أسماء الشّهور، أو أسماء الأشخاص، ولقد حارب الإسلام هذه الظاهرة حيث قال النبي (ﷺ) : «لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ الَمجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ»[1]، ومعنى الحديث: (لا عدوى) مؤثرة بذاتها وطبعها وإنما التأثير بتقدير الله عز وجل والعدوى سراية المرض من المصاب إلى غيره. وقيل هو خبر بمعنى النهي أي لا يتسبب أحد بعدوى غيره. (لا طيرة) هو نهي عن التطير وهو التشاؤم. (هامة) هي: الرأس واسم لطائر يطير بالليل كانوا يتشاءمون به. وقيل كانوا يزعمون أن روح القتيل إذا لم يؤخذ بثأره صارت طائرا يقول أسقوني أسقوني حتى يثأر له فيطير. (صفر) هو الشهر المعروف كانوا يتشاءمون بدخوله فنهى الإسلام عن ذلك. (المجذوم) المصاب بالجذام وهو مرض تتناثر فيه الأعضاء][2]، فهؤلاء لا ينفعون ولا يضرّون أحدا إلّا بإذن الله فتوكل على الّذي بيده كلّ شيء وإليه يرجعون.

العصمة لله

تحتمل هذه المقولة، احتمالان: الأول: أن يقصد قائلها بأنّ الله (عزّوجل) بيده الملك والفعّال لما يريد من عصمة عباده، من مصارع السوء، والزّلل والمكاره، وهي صفة من صفات الله سبحانه وتعالى في عصمته لأنبيائه كما أخبر بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ

---

١ - رواه البخاري رقم٥٧٠٧ .

٢ - تعليق مصطفى البغاء على البخاري رقم الحديث ٥٧٠٧.

مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ **[المائدة:٦٧]**، وقال تعالى: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴾ **[هود:٤٣]**، إن كان هذا هو قصد القائل، فلا حرج في فيما قاله .

الثّاني: أن يكون قصد القائل، بأن الله معصومٌ على صيغة اسم المفعول، فهذا ممتنع عن الله؛ لأنّ الله هو العاصم، ولا عاصم له، ومن كان معصوما، فإنّه يعتريه النّقص من الخطأ والزلل والآفات، وهذه من صفات البشر، وليست من صفات ربّ البشر، والله لا يجوز عليه ذلك، وأمّا البشر فهم مفتقرون لعصمة الله كما بيّنا في الآيتين، وكما جاء في الحديث : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)، قَالَ: " مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَان: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى "[1] تبيّن أنّ العصمة من الله للبشر، وأخصّ البشر لعصمة الله هم الأنبياء، والمرسلون؛ لأنّهم يبلغون رسالات ربهم، فيعصهم الله لهم من الكبائر والصّغائر؛ لكي لا يكون للناس عليهم حجة، كما قال النبيّ(ﷺ)((المعصوم من عصمه الله))، فإذا كان المقام تنزيه الله من النّقص، وتنزيه البشر من الكمال، فأحسن القول أن يُقال: الكمال لله وحده(سبحانه وتعالى)،والعصمة للأنبياء والمرسلين.

قول القائل "الله في كل مكان"

دخلت علينا هذه العقيدة الفاســدة بقول: "أنّ الله في كل مكان " من فرقٍ كافرةٍ بالله كالجهميّة وغلاة الصوفيّة، وتُسمّى بعقيدة الاتحاد والحلول، موافقة لعقيدةٍ النصارى، قولهم بالنّاسـوت واللاهوت، ثم خلف من بعدهم أقوام يقولون بقولهم، بأنّ الله في كـل مكـان، وهـذا القول مخالف لإجماع السـّلف والخلف، ولقد أورد ابن كثير في

١ - رواه البخاري رقم ٧١٩٨.

تفســـيره إنكـار أهـل العلم عمّا تقوله فرقة الجهمية في حقّ الله، قال(رحمه الله) في تـفســـير قـولـه تعـالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ﴾ **[الأنعام:٣]**، اخْتَلَفَ مُفَسـِّرُو هذه الآية على أقوال، بعد اتفاقهم على إنكار قول الجهمية الأول القائلين، تعالى عن قولهم علوا كبيرا، بأنه فِي كُلِّ مَكَان، حَيْثُ حَمَلُوا الْآيَةَ عَلَى ذلك، فالأصح من الْأَقْوَال: أَنَّهُ الْمَدْعُوُّ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْض، أَيْ يَعْبُدُهُ وَيُوَحِّدُهُ وَيُقِرُّ لَهُ بِالْإِلَهِيَّةِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْض، وَيُسَمُّونَهُ اللَّهَ وَيَدْعُونَهُ رَغَبًا وَرَهَبًا، إِلَّا مَنْ كَفَرَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْس، وَهَذِهِ الْآيَةُ عَلَى هَذَا الْقَوْل، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ **[الزُّخرُف:٨٤]**، أَيْ هُوَ إِلَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، وَإِلَهُ مَنْ فِي الْأَرْض، وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ قَوْلُهُ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ خَبَرًا أَوْ حَالًا [وَالْقَوْلُ الثَّانِي] أَنَّ المراد أنه اللَّهَ الَّذِي يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْض، مِنْ سِرٍّ وَجَهْر، فَيَكُونُ قَوْلُهُ يَعْلَمُ، مُتَعَلِّقًا بِقَوْلِهِ فِي السَّماواتِ وَفِي الْأَرْضِ تَقْدِيرُهُ، وَهُوَ اللَّهُ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجهْرَكُمْ، فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْض، وَيَعْلَمُ مَا تَكْسـِبُونَ، [وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ] أَنَّ قَوْلَهُ وَهُوَ اللَّهُ فِي السـَّماواتِ وَقْفٌ تَامٌّ، ثُمَّ اسـْتَأْنَفَ الْخَبَرَ، فَقَالَ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سـِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ، وَقَوْلُهُ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ أي جميع أعمالكم خيرها وشرها"[1].

ولقد أبلغ في بسط هذه المسألة رحمه الله الشيخ محمد صالح ابن عثيمين، في شرحه للعقيدة الواسطيّة، قال رحمه الله: معنوي، وعلو ذاتي:

١-أما العلو المعنوي؛ فهو ثابت لله بإجماع أهل القبلة؛ أي: بالإجماع من أهل البدع وأهل السنة؛ كلهم يؤمنون بأن الله تعالى عال علواً معنوياً.

٢-وأما العلو الذاتي؛ فيثبته أهل السنة، ولا يثبته أهل البدعة؛ يقولون: إن الله تعالى ليس عالياً علواً ذاتياً.

فنبدأ أولاً بأدلة أهل السنة على علو الله سبحانه وتعالى الذاتي فنقول: إن أهل السنة استدلوا على علو الله تعال علواً ذاتياً بالكتاب والسنة والإجماع والعقل

---

١ - تفسير ابن كثير ج٣/ ص:٢١٥.

والفطرة:

أولاً: فالكتاب تنوعت دلالته على علو الله؛ فتارة بذكر العلو، وتارة بذكر الفوقية، وتارة بذكر نزول الأشياء من عنده، وتارة بذكر صعودها إليه، وتارة بكونه في السماء ...

١) فالعلو مثل قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ **[البقرة:٢٥٥]**، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ **[الأعلى:١]**.

٢) والفوقية: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ **[الأنعام:١٨]**، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ **[النحل:٥٠]**.

٣) ونزول الأشياء منه؛ مثل قوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ **[السجدة:٥]**، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ **[الحجر:٩]**... وما أشبه ذلك.

٤) وصعود الأشياء إليه؛ مثل قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ **[فاطر:١٠]**، ومثل قوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ **[المعارج:٤]**.

٥) كونه في السماء؛ مثل قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ **[الملك:١٦]**.

ثانياً: وأما السنة فقد تواترت عن النبي (ﷺ) من قوله وفعله وإقراره:

١) فأما قول الرسول (ﷺ):فجاء بذكر العلو والفوقية، ومنه قوله (ﷺ) "سبحان ربي الأعلى"، وقوله لما ذكر السماوات؛ قال: "والله فوق العرش"[1].

وجاء بذكر أن الله في السماء؛ مثل قوله (ﷺ): "ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء"[2].

---

١ - رواه ابن خزيمة في كتاب "التوحيد" (١/ ٢٤٤)، واللالكائي في "شرح السنة" (٦٥٩)، والطبراني في"كبير" (٩/٢٢٨)، وقال الهيثمي في "المجمع" (١/٨٦): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، ورواه = =البيهقي "الأسماء والصفات" (٨٥١)، وأبو الشيخ في كتاب "العظم" (٢٧٩)، والدارميفي "الرد على الجهمي" (٨١)، وقال الذهبي في "العلو": إسناده صحيح. "مختصر العلو" (٤٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

٢ -رواه البخاري (٤٣٥١) ، ومسلم (١٠٦٤) ؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

٢) وأما الفعل؛ فمثل رفع أصبعه إلى السماء، وهو يخطب الناس في أكبر جمع، وذلك في يوم عرفة، عام حجة الوداع؛ فإن الصحابة لم يجتمعوا اجتماعاً أكبر من ذلك الجمع؛ إذ إن الذي حج معه بلغ نحو مئة ألف، والذي مات عنهم نحو مئة وأربعة وعشرين ألفاً: يعني: عامة المسلمين حضروا ذلك الجمع، فقال عليه الصلاة والسلام: "ألا هل بلغت؟". قالوا: نعم. "ألا هل بلغت؟". قالوا: نعم. "ألا هل بلغت؟ وكان يقول: "اللهم أشهد"؛ يشير إلى السماء بأصبعه، وينكتها إلى النار[١].

ومن ذلك رفع يديه إلى السماء في الدعاء.

وهذا إثبات للعلو بالفعل.

٣) وأما التقرير؛ فإنه في حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه؛ أنه أتى بجارية يريد أن يعتقها، فقال لها النبي (ﷺ): "أين الله؟". قالت: في السماء. فقال: "من أنا؟". قالت: رسول الله. قال: "أعتقها؛ فإنها مؤمنة"[٢]

فهذه جارية لم تتعلم، والغالب على الجواري الجهل، لا سيما أمة غير حرة، لا تملك نفسها، تعلم أن ربها في السماء، وضلال بني آدم ينكرون أن الله في السماء، ويقولون: إما أنه لا فوق العالم ولا تحته ولا يمين ولا شمال! أو أنه في كل مكان!!

ثالثاً: وأما دلالة الإجماع؛ فقد أجمع السلف على أن الله تعالى بذاته في السماء، من عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، إلى يومنا هذا.

إن قلت كيف أجمعوا؟

نقول: إمرارهم هذه الآيات والأحاديث مع تكرار العلو فيها والفوقية ونزول الأشياء منه وصعودها إليه دون أن يأتوا بما يخالفها إجماع منهم على مدلولها.

ولهذا لما قال شيخ الإسلام: "إن السلف مجمعون على ذلك"؛ قال: "ولم يقل أحد منهم: إن الله ليس في السماء، أو: إن الله في الأرض، أو: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل، أو: إنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه".

رابعاً: وأما دلالة العقل؛ فنقول: لا شك أن الله عز وجل إما أن يكون في العلو

---

١ –رواه مسلم (١٢١٨)؛ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ الطويل في صفة حج النبي (ﷺ).

٢ – رواه مسلم.

أو في السفل، وكونه في السفل مستحيل؛ لأنه نقص يستلزم أن يكون فوقه شيء من مخلوقاته فلا يكون له العلو التام والسيطرة التامة والسلطان التام فإذا كان السفل مستحيلاً؛ كان العلو واجباً.

وهناك تقرير عقلي آخر، وهو أن نقول: إن العلو صفة كمال باتفاق العقلاء، وإذا كان صفة كمال؛ وجب أن يكون ثابتاً لله؛ لأن كل صفة كمال مطلقة؛ فهي ثابتة لله.

وقولنا: "مطلقة": احترازاً من الكمال النسبي، الذي يكون كمالاً في حال دون حال؛ فالنوم مثلاً نقص، ولكن لمن يحتاج إليه ويستعيد قوته به كمال.

خامساً: وأما دلالة الفطرة: فأمر لا يمكن المنازعة فيها ولا المكابرة؛ فكل إنسان مفطور على أن الله في السماء، ولهذا عندما يفجؤك الشيء الذي لا تستطيع دفعه، وإنما تتوجه إلى الله تعالى بدفعه؛ فإن قلبك ينصرف إلى السماء حتى الذين ينكرون علو الذات لا يقدرون أن ينزلوا أيديهم إلى الأرض.

وهذه الفطرة لا يمكن إنكارها"[1].

والإعتقاد الصّحيح: بأنّ الله في السّماء "بائنٌ من خلقه قريبٌ من خلقه بسمعه وبصره" والأدلّة كثيرة في الكتاب والسنّة، ومحلّها مسطور في مصنفات أهل العلم من أهل السنّة والجماعة.

قول القائل "بنزل سخط الله عليك"

تُقال هذه اللفظة عند المشاجرات، والخصومات، فيقول فلانٌ لفلانٌ مخوفاً له ومتوعداً، "بنزّل سخطَ اللهِ عليك"، إنّ تنزيل العذاب، ورفعه، فهو بيد الله وحده(سبحانه وتعالى) وليس بأحدٍ من خلقه، فلا يتصرّف في الكون أحدٌ سوى الله في انزال العذاب كما قال تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ **[البقرة:٢٨٤]**، فالمغفرة والرّحمة والعذاب، بيده سبحانه وتعالى، لا كما

١ - شرح العقيدة الواسطية ابن عثيمين ص٣٩٢.

يزعمه المبطلون، بأنّ هنالك من البشـر، من يتصـرف في الكون بقدرته ومشـيئته، وهذا كفر، فقول القائل بأنّه سـينزل عذاب الله لمن يريد عذابه وإيلامه، فهذا كذب وجهـل من قـائلـه، وتـألي على الله، وانتقـاص من قـدرة الله في تصـرّفه في كونه وملكوته وعجزه عن بعض ما يريده ويشـاؤه، فهذا مقتضـى الكلام وإن لم يقصـد القـائـل معناه، فيعذر الجاهل بجهله إن لم يسـبق له معرفة ذلك، فمن بلغته الحجة، فهي حجـة على قائلها، فتهذيب الألفاظ واجبٌ شـرعيّ، كما أنّ تصـحيح النيّة واجب شـرعيّ، فعلى المسـلم أن يتعلم عقيدته، تجاه ربه ونبيّه ودينه، كي لا يقع في مزلّات زلازل المآثم، وسفوح المعاصي، وأودية المغارق ودركات المهالك.

وعد أجنبيّ أم وعد عربيّ

من المؤسف بأننا نسمع هذه المقولة، ونتحدّث بها فيما بيننا، عند إبرام العقود في معاملاتنا، أو في شتّى مجالات معاملاتنا الّتي نتعامل بها، ومثال ذلك: إن أراد فلانٌ أن يواعد فلاناً على موعدٍ ما، فيقول أحدهما للآخر، وعد أجنبيّ أم عربيّ، فإن أراد أحدهم التّسويف فيما أوعد فيقول له وعد عربيّ، وإن أراد إنجازه، قال وعدٌ أجنبيّ! فأصبحت وأمست تلك المقولة، مثلاً للصدق، والكذب، فيُنعت الأجنبي بالصّدق والعربيّ بالكذب!، يقصد الناس بالأجنبيّ (الكافر الّذي يتكلم باللغة الأعجميّة)، ويقصدون بالعربيّ(المسلم العربيّ الّذي يتكلم بلسان عربيّ)، هذه المقولة باطنها وظاهرها مستورد استورده أتباع المستشرقين المغرّبين والمغرّدين للباطل من بعض أبناء

المسلمين الّذين عاشوا في البلاد الأجنبيّة، كي يمحقوا جوهر الإسلام ومحاسنه الّتي من أعلاها وأفضلها الصّدق، وهذا ما حصل! أصبح يُكذّب الصّادق ويُصدّق الكاذب، فعاش هؤلاء في بلادهم وتأثروا في ثقافتهم وأُشربوا حبّهم، وآثروا مآثرهم، من الدّنيا وملذّاتها، وأصبغ نعيمُهم جلودَهم، وتزيّوا بزيّهم، ونسُوا لسانهم وإسلامهم، وحكموا على العنصر الأجنبيّ بالصّدق بتجربتهم الشّخصيّة مع بعض أفراد المجتمع الأجنبيّ، في صدق وعدهم فيما يقطعونه من الوعود، وأطلقوا حكمهم في تجربتهم مع بعض أفراد المسلمين في خُلفِهم للوعد؛ بأن أطلقوا على كلّ مسلم عربيّ بالكذب، مما لا شكّ فيه بأنّ الكذب غير مستحيل على البشر سواء كان كافرا أو مسلما، أجنبيّا أو عربيّاً، ولكنّها مسألة نسبيّة فتختلف من شخصٍ لشخصٍ، ثمّ أصبح الكثير من أبناء المسلمين، يتناقلونها جيلاً بعد جيل دون تروّي قبل الحكم والنّطق بها، ولا عبرة في تجربة شخص ثم أطلق حكمه فيها، فإطلاق الأحكام بمحض الجهل وقلة الفهم تدلّ على الجهل والطّيش والسّفه، فليصدع أحدنا بالعروبة، فكتابنا عربيّ، ورسولنا عربيّ، وأخلاقنا عربيّة أصيلة، فضُرب بها أعذب الأشعار، فلا ينبغي مدح الكافر وذمّ المسلم، لأن في ذلك تعاوناً على العدوان، ونصرةً للباطل وانتقاص للهُويّة العربيّة الإسلامية.

قول القائل" ماذا فعلتُ يارب لكي تبتليني"

عندما تصيب بعض المسلمين مصيبة، من نقصٍ في الأموال، أو في الأنفس أو في الثمرات، حتّى تسمع منهم مقولةً تُغضب الرّبّ (سبحانه وتعالى)، ألا وهي معاتبة العبد ربّه، فيما أنزله الله عليه من ابتلاء، متضجّراً ومتسخطاً من أقدار الله الكونيّة.
من المعلوم بالضّرورة، بأنّ سهام الله الكونيّة، لا مناصَ لنبيّ ولا لرسولٍ، ولا لبشرٍ منها، فهي أمر الله وقضاؤه الذّي قدّره على عباده، فالإيمان بالقدر من أركان الإيمان، ولا يكتمل إيمان العبد إلاّ بالإيمان به، كما جاء في حديث جبريل علبه السّلام: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[1]،

---

١ - سبق تخريجه.

والابتلاء اختبار لحقيقة دعوى العبد إيمانه بالقدر خير، وشرّه كما قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ **[العنكبوت:٣]**، فقد مضت سنّة الله على الأولين والمستأخرين، في انزال الابتلاء عليهم من اختبارهم (وهو عالمٌ بهم قبل خلقهم) في دعوى أيمانهم، وإذعانهم لأمره، فيمحّص الله الّذين آمنوا ويمحق الكافرين، ويثيب الصّابرين بصبرهم على قدره جنّة ونعيماً، وملكاً كبيراً وينالون رحمة الله، وصلواته عليهم كما أخبر سبحانه وتعالى عن ذلك: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ۝١٥٧ ﴾ **[البقرة ١٥٥:١٥٧]**، فالمسلم الّذي تصيبه مصيبة بمختلف نوعها، الواجب عليه الصّبر، والرِّضى، لكي لا يقع فيما يغضب الله ويُحرَمُ أجره صبره على ما آتاه الله من فضله للصابر المحتسب، ولا نقول عند المصائب إلّا ما يرضي ربنا كما بيّن ذلك النبيّ (ﷺ): عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ((دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) عَلَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ»، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ (ﷺ): «إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ» [1]، هكذا يتأسى المسلم في نبيّه (ﷺ)، عند المصيبة.

وكما قال أحدهم:

إمّا أن تصبر صبر الكرام..... وإمّا أن تسلو سلوّ البهائم.

---

١ - رواه البخاري رقم ١٣٠٣ ومسلم رقم ٢٣١٥.

كلّ ما سبق من الحديث عنه كان عن الصّبر على الابتلاء إن وقع ما هو المطلوب من المسلم، ولكن تبقى مسألةٌ أخرى، وهي وقوع العذاب والعقاب بسبب كسب العبد من المآثم الّتي نهى الله عباده عنها، من أنواع العقوبات الّتي يعاقب فيها المذنب، قد تكون في فقد فلذة الكبد من البنين والبنات، أو الأمراض أو نقص الأموال، أو معيشة ضنكا، فإذا أذنب العبد ذنباً عظيماً، ربما يبتليه ربه بفقد ما يحبّه ويشتهيه، فيكون الحرمان بسبب ذنبه وخطيئته، وتمثيلاً بذلك، لّما تقع العقوبات ويتجرعها العبد، فيقول بلسان طلق، ماذا صنعتُ يا ربّ لكي تفعل بي كذا وكذا؟ علماً تجده مجرماً عاصياً لله ولرسول الله (ﷺ) لم يبق منكراً من القول والعمل إلاّ كسبته جوارحه، ثمّ يقول : معاتباً لربّه، لم أصنع شيئاً حتى تبتليني! فكم أهلك الله أمماً بسبب ذنوبهم كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥)﴾الأنعام﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ **[الأنعام ٤٢:٤٥]**، وعن ثوبان قال: قال رسول الله (ﷺ):"لا يزيد في العمر إلا البر ولا يرد القدر إلا الدعاء وإن الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها[١]"، وكم من انسانٍ حرم ما حرم بسبب معاصيه، فعلى المسيء أن يتوب، وعلى المبتلى أن يتصبّر، من قبل ولات حين مناص.

---

١ – صحيح وضعيف سنن ابن ماجه رقم ١٦٢ وحسنه الألباني بدون زيادة "وإن الرجل....."–، الصحيحة (١٥٤).

مسلم في الهُويّة

نسمعها كثيراً من الدّعاة والخطباء، والوعّاظ، والحزبيين، وعوامّ النّاس، وذلك حينما يطلقون عنان ألسنتهم بالحكم على المقصرين من المسلمين في جنب الله، فيحكمون عليهم بأنّهم مسلمون في الهّويّة، أي: بأنّهم ينتسبون للإسلام هُويّتاً لا حقيقةً، في ظاهرهم لا في باطنهم.

هذه المقولة في باطنها شرٌّ عظيم، وخطرٌ كبيرٌ، لأنّها تحمل في ريحها صرٌّ شديدٌ، تؤذي الإسلام والمسلمين، في إخراجهم من النّور إلى الظلمات، لأنّ مفهوم المخالفة يقتضي تكفير المسلم العاصي، وهذا القول يوافق قول الخوارج، الّذين يكفرون بالكبيرة، ويحكمون عليه بالخلود في النّار، بمجرد فعل أيّ كبيرة من الكبائر الّتي لا يكفر صاحبها، فإنّ عقيدة أهل السنّة والجماعة لا يجوز تكفير أحد من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلّه، فمن خالف هذه العقيدة وهذا الفهم السليم حُكم على مخالفه بأنّه من الخوارج في فكره ومعتقده، إنّ الأمة الإسلاميّة تُعاني بسبب الصّرعات الفكريّة، الّتي ليس من الإسلام في شيء، ولكنها خدمة وغنيمة باردة لأعداء الله من

اليهود، والنصارى، والوثنيّة، وأخطر الأحزاب الفكريّة، هم خوارج هذا العصر كالتكفيريون، وغيرهم من الفرق المارقة، الّتي سفكت دماء المسلمين، وأجازت نهب الأموال وسبي النساء، والخروج على ولاة الأمور، وحتّى اللحظة الّتي أكتب فيها فلم يجلبوا على المسلمين إلّا الدّمار والبوار، في كل يوم يخرج شبابٌ؛ أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، فيكفرون من يريدون تكفيره ممن يخالف معتقدهم الباطل، فضاع الشّباب بسبب الشّبه التي تلقى على أسماعهم؛ لأنّ قلوبهم كالسِفنجة لا كالمرآة، فيعتقدون قبل الإستدلال وفهم الدّليل من أولي الأبصار من أهل العلم؛ فحينئذٍ ضلّوا وأضلّوا، ولقد حذّر رسول الله (ﷺ) من تكفير المسلم أخاه المسلم، قال (ﷺ):" أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ "[1]، فليكن المسلم للمسلم رحمة مهداة، كما قال النبيّ (ﷺ) عن نفسه:" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»[2]، إن كان النبيّ (ﷺ) رحمته على من كفر بالله فكيف رحمته على من آمن بالله! الواجب على كلّ مسلم ومسلمة، أنّ يتأسى بنبيّ الرّحمة (ﷺ) ولا يكن قاضياً، وحاكماً على النّاس، بل يكن ناصحاً ورحيماً على أخوته من المسلمين فالرّاحمون يرحمهم الله، ورحمته قريب من المسلمين.

---

١ - رواه البخاري برقم٦١٠٤ ومسلم رقم ٦٠

٢ - رواه مسلم برقم ٢٥٩٩

ضع رأس مع الرؤوس وقول يا قطّاع الرؤوس

هذه المقولة دارجة على ألسنة كثير من النّاس وتُقال في جانب التّفريط في العمل الصّالح. ما المسبب المحرّض لتلك المقولة ؟ إنّ مسبباتها كثيرة، فهنالك أمثلة من واقعنا الّذي نعيشه: عندما ترى منكراً، وتريد أن تنكره، تسمع هذه المقولة" ضع رأسك مع الرؤوس" أي اجعل نفسك مع زمرة غير المنكرين ، بمعنى أنّ ما يقع على النّاس يقع عليك، فكن معهم في السّرّاء والضّرّاء، هذا المثل يترجم على السّاحة العربيّة الإسلاميّة، في وضعهم الرّاهن مع أعدائهم، ما يجري على دولة عربيّة من خنوعهم وتذلّلهم لعدوهم من اليهود والنّصارى والوثنيّة والمجوسيّة، يقع على كل دولة عربيّة، فلا ثمة حاجة للمخالفة! فيُستخدم هذا المثل تطميناً للنفس على الخيبة، والاستكانة، هذا هو لسان كلّ مسلم مقصّرٍ مفرطٍ في جنب ومع عباد الله، هذا المثل غالبه ينطبق على الماشية التي تنقاد لصاحبها فتضع كل واحدة من الأغنام مع رأس الأخرى للذبح، فهل يرضى المسلم أن يُطبّق عليه مثل السَّوء، إنّ الإسلام جاء بالعزّة والنّصر والنُّصرة، دفعاً للباطل ودمغه؛ لينتشر الحقّ ويعلوا بسنام الأمّة على أعدائها، فالمسلم يطأطأ رأسه لأمر الله لا أن يطأطئه لعادات الناس وما تعارفوا عليه من

الباطل، وقلة المروءة، فالله عزّ وجلّ يحب موطن القوة والعزّة في مكانه وموطن الذّلّة في مكانه كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ **[المائدة ٥٤:٥٦]**، إنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، يتطلّب قوةً إيمانية، وصبراً جميلاً؛ في تحمّل عناء الدّعوة لحصد ثمارها، وهذه الصّفة صفة المرسلين كما بيّن الله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ **[آل عمران ١٤٦:١٤٨]**،

فهذا المثل يدعوا المسلم، للذلّة والاستكانة والجبن والرّضى بالباطل وأهله، ويدعوه ليخرس فمه عن قول الحق، والنبيّ (ﷺ) قال لأبي ذر: " قل الحق وإن كان مرّاً"[١]، فالواجب على المسلم أن لا يقتدي بأفعال الناس وأقوالهم المخالفة للكتاب، فلا يكن كالإمعة، بل يقتدي بنبيه (ﷺ) في جميع شأنه كلّه فكل الخير باتباعه والامتثال بأمره.

---

١ - رواه رواه أحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه والحاكم واللفظ له وقال صحيح الإسناد وصححه الالباني فيصحيح وضعيف الترغيب - (صحيح لغيره)رقم ٢٨٦٨.

اللهم إنّي لا أسألك ردّ القضاء ولكنّي أسألك الطف فيه"

جرى هذا الدّعاء على ألسنة كثيرٍ من الناس، ظنّاً منهم أنّه لا يجوز الدّعاء بردّ القضاء، ولكنّه يجوز دعاء الله بأن يتلطّف فيما يقدره لعباده من الابتلاء، هذا هو معتقد غالب النّاس، ويظهر من ذلك تؤدب الدّاعي تجاه ربّه فيما قضاه، وارتضاه له، وتلمس فيه إيمان المسلم في واستسلامه لقضاء الله والاعتراف به، والإذعان له، فهذا ما يظهر من سلوك العبد حينما يدعو بهذا الدّعاء، وهذا أمرٌ مطلوبٌ شرعاً، وهو ركن من أركان الأيمان، ولكن اعتقاد أنّ القضاء لا يُردّ، فهو اعتقاد خاطئ، إذ جاءت النّصوص الشّرعيّة بخلاف ذلك، كما جاء في الحديث: عَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ):" لاَ يَرُدُّ القَضَاءَ إِلاَّ الدُّعَاءُ، وَلاَ يَزِيدُ فِي العُمْرِ إِلاَّ البِرُّ"[1].

مفهوم الحديث يصرّح بأنّ القضاء يدفعه الله عن عباده بسبب دعائهم، وهذا من لطف الله ورحمته على عباده بأنّه يتلطّف بهم بسبب تضرّعهم إليه، فإنّ الله سبحانه وتعالى إن رفع قضاءه عن عبده؛ فإنّه رفعه أيضاً بقضائه، فكلّ ما يفعله الله سبحانه وتعالى لا يخرج عن ما قدره وقضاه، كما بيّن ذالك عمر بن الخطّاب(رضي

1 - رواه الترمذي رقم ٢١٣حسنه الألباني في الصحيحة (١٥٤).

الله عنه) :" عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أَهْلُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ فَدَعَوْتُهُمْ، فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ، فَاخْتَلَفُوا فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) وَلَا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ ادْعُ لِي الْأَنْصَارَ فَدَعَوْتُهُمْ لَهُ، فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصْبِحٌ عَلَى ظَهْرٍ، فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ – وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُ خِلَافَهُ – نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَى قَدَرِ اللهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَتْ لَكَ إِبِلٌ فَهَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ، قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي مِنْ هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ» قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ثُمَّ انْصَرَفَ. إذاً: ليس هنالك محذورٌ شرعيّ في دعاء العبد ربّه بردّ قضائه عنه، واللّه أعلم والموفق للصواب .

الموت أفضل من الحياة"

تقال هذه العبارة؛ حينما يقع الإنسان في ضائقة من أمره، وعندما يفقد كمال إيمانه، وصبره على أقدار الله الكونيّة القدريّة: كمرض، أو فقر، أو أيّ ابتلاء يُبتلى به، فيدخلُ عليه الجزع والقنوط من رحمة الله ، فيدعو على نفسه بالموت، ظنّاً منه أنّ الموت راحةٌ له من الدّنيا الّتي يُكابد فيها، بل هنالك أناس لا يكتفون بالدّعاء على أنفسهم بالموت، بل يبادرون الله بقتل أنفسهم ويزهقون أنفسهم الّتي حرّم الله قتلها إلّا بالحقّ، فعندما يجزع الإنسان، ولا يصبر على قدر الله ؛ فإنّه حينئذٍ يقدم على قتل نفسه، ظنّاً منه أن ذلك راحة له من عناء الدّنيا، ولا يدري بأنّ عذاب الدّنيا، أهون له من عذاب الآخرة الّذي هو أشدّ وأبقى، والدليل على أنّ الجزع من رحمة الله يودي بقتل الإنسان نفسه ، فقد جاء في الصحيح :عَنِ الحَسَنِ، حَدَّثَنَا جُنْدَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فِي هَذَا المَسْجِدِ، وَمَا نَسِينَا مُنْذُ حَدَّثَنَا، وَمَا نَخْشَى أَنْ يَكُونَ جُنْدُبٌ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى عليه وسلم: " كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ، فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ "[1].

---

١ - رواه البخاري برقم ٣٤٦٣.

فالذي يقتل نفسه جزعاً تكون آخرته أشدّ عليه من الدّنيا فيحاسب على جزعه، وقتله لنفسه، ولو صبر لكان خيراً له، فالمسلم لا يكتمل إيمانه إلّا بإيمانه بالقدر خيره، وشرّه، والنّبيّ ﷺ علّم أمته حين تصيبهم أقدار الله ماذا يقولون، وكيف يصنعون، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): " لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ مُتَمَنِّيًا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي "[1]، وعَنْ قَيْسٍ، قَالَ: أَتَيْتُ خَبَّابًا، وَقَدِ اكْتَوَى سَبْعًا، قَالَ: «لَوْلاَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ»[2]، والعلّة في النّهي عن تمني الموت كما بيّنه النبي (ﷺ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)، قَالَ: «لاَ يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ المَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ»[3]، وأيضاً من علل النّهي أنّ الدعاء ينمي إلى عدم الرّضى بالقدر ولا بالتسليم لما قضاه الله، فالواجب على المسلم الصبر، والرضى على أمر الله لكي تطمئن نفسه وتسكن وتنقاد لأمر الله فيحصل له من الخير العظيم والأجر الكبير .

---

١ – رواه البخاري رقم ٦٣٥١ ومسلم رقم ٢٦٨٠.

٢ – رواه البخاري رقم ٦٣٤٩.

٣ – رواه البخاري رقم ٧٢٣٥.

"فلان وهّابيّ"

إنّ أول من أنشأها هم أعداء الله من اليهود، والنّصارى ثم تبعهم في ذلك الحزبيون المتعصبون لمنهجهم البدعيّ وعداوةً لأهل السلف، وأتباع العالم المجدد الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" رحمه الله تعالى.

مما لا شك فيه بأن الشيخ محمد عبد الوهاب كان يسلك في طريقته مسلك ومنسك أهل الحديث وأصحاب العقيدة السلفية الصافية؛ فاتّبع طريق السلف في تعلمهم ودعوتهم، ولكن أصحاب الشبهات، والشهوات من أهل الفرق، والزيغ والانحراف، فالّذي يدعو إليه، لم يوافق منهجهم ومآربهم فأثار علمه، وعمله قلوبهم وأفئدتهم الفارغة فاشتعلت نيران حقدهم عليه؛ وذلك برميه بأنه هو الذي أنشأ التكفير في بلاد المسلمين، والتجسيم في مسائل الأسماء والصفات، واتُّهم الشيخ وأتباعه أيضا بالتشدّد وإلى غير ذلك من الافتراءات عليه ثم أصبح يُعيَّر بذلك كل من اتبع الشيخ في منهجه للكتاب والسنة ولسلف الأمة بأنه وهابيّ لإيهام الناس بأنّه جاء بمذهب جديد ودين مختلف لا علاقة له بالكتاب ولا بالسنة ولا سلف الأمة!! إذاً سبب مقولتهم هو: الحقد والحسد وعدم موافقة الشيخ لمناهجهم وبدعهم التي ابتدعوها.

فأهل البدع شرُّ ألسنة في إشاعة الطعن في لحوم العلماء لكي يُزهدوا الناس فيما يحملونه من العلم النافع من الكتاب والسنة، فإن زهد النّاس بهم تركوا علمهم

ونبذوهم ووصفوهم بأبشع الأوصاف، وصدق رسول الله (ﷺ) حينما نعت أتباعه، بأنهم غرباء قال:" بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء"[1].

فعلى المسلم أن لا يقلّد ما لا يعرف حقيقته بل عليه أن يحكم على الأشياء بعد تصورها تصوراً مبنيّاً على ضوابط أهل العلم في الجرح والتعديل، وإلا فيكون المقلد باءَ بالإثم العظيم والعقاب الأليم، والندامة يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

السّلفيون متحجّرون

هذه القولة تحكى عندما تصدر فتاوى أهل العلم من السلف وخلفهم وتخالف هوى أهل الهوى من الذين تشبهت قلوبهم وتشبعت من ثدي العلمانية واليهودية والنصرانية والخارجين من هذه الأمة عن اتّباع الكتاب والسنة، وسلف الأمة فحينئذ تخرج القولة من أفواههم لمزاً وهمزاً، وحقداً على أهل السلف الذين قدّموا النّقل على العقل، والتزموا منهج الوحيين في بيان الحقّ المبين والنهج على صراط الله المستقيم، الذي لا عوج فيه، والذي هو حبل الله المتين، فعندما سمعت تلك الشرذمة بما يتكلم به أهل العلم من الكتاب والسنة على وفق منهج سلف الأمّة، وأعيتهم تلك الفتاوى على أن يطبقوها ويعملوا بها؛ فسارعوا حينها إلى الطعن في حملة هذا الدين من علماء الأمّة الذين ساروا على منهج سلف الأمّة من خير القرون التي قضت نحبها فرموهم بأنهم متحجرون على عقولهم! ومتحجرون على النصوص، وليس عندهم فقه الواقع، على حدّ زعمهم!، ومن أكثر الناس ترويجاً لتلك المقولة: هم الذين يبحثون عن الخلافة الشرعية ومآربهم الحزبية بشتى أنواع الحزبية فهؤلاء يريدون الفتاوى توافق شهواتهم، وشبهاتهم فالقاعدة عندهم أن الحق يعرف بالرجال، وليس العكس، فتلك آلة المقياس عندهم وأما أهل العلم من أهل السلف

١ - رواه مسلم برقم (١٣٠).

فالمقياس عندهم يعرف الرجال بالحق أي أن الميزان هو الشرع فمتى، وافق الرجل الحقّ أخذ بقوله، وإن خالف فلا عبرة لما يقوله.

إذاً: علماء السلف فهم لا يتجاوزون فهم الكتاب والسنة على طريقة فهم سلف الأمة لكي لا يحدثوا في دين الله حدثاً وحتى لا يفرّطوا فيضيع الدّين بين الغلوّ والتّفريط فالعلماء الرّبّانيّون من أهل السلف هم خير خلف لرسول الله (ﷺ) ولكنّ الذين يطعنون ويأتون بأنواع من المطاعن لا حجة عندهم تعضد افتراءهم، إلاّ أن يقدحوا بأهل العلم كي يكرّهوا النّاس في أهل العلم حتى لا يستمعوا لهم، فيما يبينونه لهم من الحقّ والهدى! فأهل العلم من أكثر النّاس إعمالا للعقول من خلال الاجتهاد والاستنباط من آيات الله الشرعية والأحاديث النبوية فأسبغوا جميع أوقاتهم لنصرة الكتاب والسنة فمن سار على طريقهم اهتدى ومن ضل أضله الله وأصبح تابعا لهواه وأمّا المتحجرون، فإنّهم هم أهل الانحراف من أهل الشهوات، والشبهات، فقد حجّروا عقولهم ورّقوا رقابهم للشيطان، ولقاداتهم الّذين يحبون الفتنة في المسلمين من سفك الدّماء، والخروج على ولاة الأمور، ودعوة النّاس للمظاهرات، وها نحن اليوم نرى ما أفسده هؤلاء في ديار المسلمين حتّى سمّوه بالرّبيع العربيّ! فأنّى يؤفكون! كيف نسمي القتل، والتّدمير والانحلال الأمنيّ بالربيع! فالعلماء من أهل السّلف دعو لحقن الدّماء وأمّا شياطين الأحزاب فإنّ فتواهم إراقة الدّماء وإثارة الفتن! فنصروا الباطل وهدموا السنة، والله المستعان فيما يصنعون.

"علماء سلاطين"

كلمة نسمعها كثيراً تخرج ابتداءً من أفواه أهل البدع، من الّذين لا يرون طاعة وليّ الأمر، بل يرون الخروج عليه، والتربّص به ريب المنون، ثمّ تناقلها عنهم هوامّ الناس الّذين يتبعون كلّ ناعق.

من هم العلماء الّذين يقصدهم أهل البدع؟ وما هو المحرّض لهم ليقولوا ذلك؟ إنّ الطّائفة الّتي تشيع السّوء من القول بين النّاس، هم الحزبيّون السياسيّون المتعطّشون؛ للرياسة والرّياشة، وجنّة الدّنيا وزخرفها، دون مراعاة لعقبى نتائج وصنيعهم السيّئ في الأمّة الإسلاميّة، كإحداث الفتنة، وإيقاد شرارتها بين النّاس، حتّى وإن سفكت الدّماء، وهلكت النفس، والأموال وانقطعت السّبل، فكلّ ذالك من مقصدهم ولا يهمهم ما فعلوه، بل مقصدهم علّوهم في الأرض؛ سيادةً ورياشةً، وسبب قولتهم السّوء: فالسّبب واضحٌ لكل مبصرٍ ألا هو منهجهم الحركيّ الحزبيّ، وفكرهم المخالف لعقيدة أهل السّنة والجماعة في طاعة ولاة الأمور، والنّصح لهم، وعدم الخروج عليهم، فعندما يسمعون، أو يقرؤون كلام العلماء من أهل الدراية في وجوب الطّاعة لهم، وتحريم إثارة شغب الشّعوب عليهم، فيسارعون في محاولة النّيل من العلماء الرّبانيّين؛ من خلال لمزهم، وهمزهم، والطّعن فيهم بحيث يجعلون الناس

أتباعاً لهم في عدم قبول كلامهم؛ لأنّ انتقاص أهل العلم يورث النّاس كراهتهم، من خلال لمز العلماء بقول "هؤلاء علماء سلاطين"، فكلّ عالم لا يوافق منهجهم يلمزونه بذلك، أي: بأنّهم أتباع للحكام في الخير والشرّ!!!، هؤلاء القوم لا يفقهون حديثاً! هنالك فرق بين مداهنة السلطان والنّصح له ومناصحته، استناداً لأمر الله الّذي أوجبه الله ورسوله على العلماء وألزمهم بتبليغه، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ **[النساء:٥٩]**، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي»[1]، والأدلة على ذلك كثيرة في وجوب طاعة ولاة الأمور وعدم الخروج عليهم ،" قال البر بهاري (رحمه الله): وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله، لقول فضيل: لو كانت لي دعوة ما جعلتها إلا في السلطان. قيل له: يا أبا علي فسر لنا هذا، قال: إذا جعلتها في نفسي لم تعدني، وإذا جعلتها في السلطان صلح، فصلح بصلاحه العباد والبلاد. فأمرنا أن ندعو لهم [بالصلاح] ، ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن ظلموا، وإن جاروا؛ لأن ظلمهم وجورهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين."[2]

إنّ أهل البدع من الخوارج لا يرون العالِمَ عالماً ربانيّاً حتّى يرى السّيف على ولاة الأمور والتّحريض على الخروج عليهم من خلال المنبر، ولهذا كلّ عالم خالف مرادهم وفهمهم، ومنهجهم قالوا عنه عالم سلطان لا عالم ملّة! والله المستعان على ما يصفون.

---

١ - أخرجه مسلم رقم ١٨٣٥.

٢ - الكتاب: شرح السنة، المؤلف: أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البر بهاري (المتوفى: ٣٢٩هـ) ص-١١٤.

"اختلاف أمّتي رحمة"

يُقال هذا الكلِم في باب التّوسعة حين الأخذ بالرّخص الّتي هي مخالفة للحق موافقً لهوى وقلب من يطلبها ويبحث عنها؛ وعند الإنكار على من تتبع الرّخص الباطلة يقول: اختلاف أهل العلم في الفتاوى الشّرعية في المسألة الواحدة، فيه رحمة للنّاس، وللمسلم أن يأخذ بقول من شاء من أهل العلم لقول رسول الله (ﷺ) "بأنّ اختلاف أمّتي رحمة"، فأودى هذا الفهم بكثير من المسلمين، لتقليد أهل العلم رغبةً فيما وافق هواهم، دون النّظر عن البحث عن الصّواب وما وافق الحقّ، كلّ ذلك يجوز بدعوى "اختلاف أمّتي رحمة".

للجواب عن ذلك: أولاً: هذا ليس بحديث كما قرّره الحذّاق من أهل الحديث، وقال عنه الألباني رحمه الله "لا أصل له"[1]. وأمّا معنى الحديث: فهو مخالف للشارع الحكيم كما بيّن ذلك الألبانيّ رحمه ونقل كلاماً جميلاً في بيان المعنى الصحيح لمفهوم الحديث:" إن معنى هذا الحديث مستنكر عند المحققين من العلماء، فقال العلامة ابن حزم في " الإحكام في أصول الأحكام " (٥ / ٦٤) بعد أن أشار إلى أنه ليس بحديث: وهذا من أفسد قول يكون، لأنه لوكان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطا، وهذا

١ - السّلسلة الضعيفه /ج/ص: ١٤١.

ما لا يقوله مسلم، لأنه ليس إلا اتفاق أو اختلاف، وليس إلا رحمة أوسخط. وقال في مكان آخر: باطل مكذوب، وإن من آثار هذا الحديث السيئة أن كثيرا من المسلمين يقرون بسببه الاختلاف الشديد الواقع بين المذاهب الأربعة، ولا يحاولون أبدا الرجوع بها إلى الكتاب والسنة الصحيحة، كما أمرهم بذلك أئمتهم رضي الله عنهم، بل إن أولئك ليرون مذاهب هؤلاء الأئمة رضي الله عنهم إنما هي كشرائع متعددة! يقولون هذا مع علمهم بما بينها من اختلاف وتعارض لا يمكن التوفيق بينها إلا برد بعضها المخالف للدليل، وقبول البعض الآخر الموافق له، وهذا ما لا يفعلون! وبذلك فقد نسبوا إلى الشريعة التناقض! وهو وحده دليل على أنه ليس من الله عز وجل لو كانوا يتأملون قوله تعالى في حق القرآن: {ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} فالآية صريحة في أن الاختلاف ليس من الله، فكيف يصح إذن جعله شريعة متبعة، ورحمة منزلة؟ .

وبسبب هذا الحديث ونحوه ظل أكثر المسلمين بعد الأئمة الأربعة إلى اليوم مختلفين في كثير من المسائل الاعتقادية والعملية، ولو أنهم كانوا يرون أن الخلاف شر كما قال ابن مسعود وغيره رضي الله عنهم ودلت على ذمه الآياتالقرآنية والأحاديث النبوية الكثيرة، لسعوا إلى الاتفاق، ولأمكنهم ذلك في أكثر هذه المسائل بما نصب الله تعالى عليها من الأدلة التي يعرف بها الصواب من الخطأ، والحق من الباطل، ثم عذر بعضهم بعضا فيما قد يختلفون فيه، ولكن لماذا هذا السعي وهم يرون أن الاختلاف رحمة، وأن المذاهب على اختلافها كشرائع متعددة! وإن شئت أن ترى أثر هذا الاختلاف والإصرار عليه، فانظر إلى كثير من المساجد، تجد فيها أربعة محاريب يصلى فيها أربعة من الأئمة! ولكل منهم جماعة ينتظرون الصلاة مع إمامهم كأنهم أصحاب أديان مختلفة! وكيف لا وعالمهم يقول: إن مذاهبهم كشرائع متعددة! يفعلون ذلك وهم يعلمون قوله (ﷺ): " إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة " رواه مسلم وغيره، ولكنهم يستجيزون مخالفة هذا الحديث وغيره محافظة منهم على المذهب كأن المذهب معظم عندهم ومحفوظ أكثر من أحاديثه عليه الصلاة والسلام! وجملة القول:

أنّ الاختلاف مذموم في الشريعة، فالواجب محاولة التخلص منه ما أمكن، لأنه من أسباب ضعف الأمة كما قال تعالى: {ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم} ، أما الرضا به وتسميته رحمة فخلاف الآيات الكريمة المصرحة بذمه، ولا مستند له إلا هذا الحديث الذي لا أصل له عن رسول الله (ﷺ)"[1].

"يا رب لا تحسبها عليّ غيبة"

إنّ الغالب على مجالس المتسامرين حيثما كانوا، الخوض في أعراض النّاس؛ قدحاً وانتقاصاً من بين همزٍ، ولمزٍ، وحبّاً؛ لإشاعة الفاحشة، ما إن يريد أحدهم أن يتكلّم ويتخوّض في عرض أخيه فتسمعه يقول" لا تحسبها أو لا تكتبها يا ربّ عليّ غيبة"، تدلّ هذه القولة دلالة بيّنة؛ على أنّ قائلها على علمٍ بما سيقوله بأنّها من سخط الله ومن المناهي الشّرعيّة الّتي حرّمها الله سبحانه وتعالى على عباده، وتدلّ أيضاً على جرأة قائلها في ما يغضب الله سبحانه وتعالى، من غير خوف ولا وجل منه سبحانه وتعالى.

من محاذيرها: أولاً: دعاء الله والطّلب منه بأن يأذن له بارتكاب معصيته، وهذا من كبائر الإثم، لأنّه سؤالٌ فيما حرّمه الله على جميع عباده، من الفواحش ما ظر منها وما بطن، والبغي، كما قال سبحانه وتعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ **[الأعراف:٣٣]**، وكما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ **[الأعراف:٢٨]**، وهذا بيان من الله سبحانه وتعالى بأنّه لا يرضى عن معصية العاصي بأن ينسب اليه ما لم يقله ولم يأذن به ، وشرط قبول دعاء العبد، بأن يكون بما أحلّه الله وارتضاه لا فيما حرّمه ونهى عباده عنه. ثانياً: علم قائلها بأنّ مقولته من الكلام المحرّم ومن منكر

---

١ - السلسلة الضعيفة /ج١/ ص: ١٤٣.

القول ؛ لأنّه يسأل الله بأن يتجاوز عنه حينما يشرع في أكل لحوم النّاس الّتي حرّمها بغير حقٍّ، وفي ذلك مجاهرة في المعصية وتعدّي على حدود الله.

ثالثاً: الجرأة على اقتراف المعصية وعدم الخوف من الله، والجرأة على النّيل من أعراض النّاس من غير رحمة ولا حياءٍ من الله.

على المسلم أن يبتعد كلّ البعد عن الغيبة الّتي حرمها الله في كتابه وسنة رسوله (ﷺ):كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ **[الحُجُرات:١٢]**، وقال (ﷺ): "«إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الِاسْتِطَالَةَ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ»[1].

فعلى المرء أن لا يتهاون في الخوض في أعراض النّاس، لأنّ أعراضهم محرّمة وسبب لعقاب الله ومقته وغضبه.

---

١ - رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم ٤٨٧٦،

"بنت الرجال ما تستحي من الرّجال"

نســـمع هذا المثل كثيراً، وخاصـــّة من بعض أهل البوادي، لأنّ الغالب عليهم هي العـادة وليس العبـادة، فللبادية فلســـفتها في الحياة تختلف اختلافاً كبيراً عن تعاليم الشـــّارع الحكيم، والســـّبـب في هـذا هو البعد عن مجالس العلم والذّكر، كما بيّن ســبحانه وتعالى: ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ **[التوبة:٩٧]**.

فالمثل أصالةً خرج من أهل البادية، ثمّ تناقله أهل الرّيف، وأهل الحضر، فالمقصود بهذا المثل، استحسانهم اختلاط المرأة مع الرّجال، ولا عيب في ذلك لطالما المرأة لها إخوة شجعان وأشدّاء، فلا ضير في مجالستها ومخالطتها الرّجال، لأنّها اكتسبت الرجولة من مخالطتها لأخوتها المشهود لهم بالرّجولة والبأس، فلها حينئذٍ أن تجالس الرّجال والاختلاط بهم والتّكلّم معهم، ولا يعيبها المجتمع الّذي تعيش فيه إن كانت "أُخت ارجال"، ثمّ حدث تغيير لمسمى المثل لمسمىً آخر في غالب المجتمعات، لكي يجوّزوا خروج المرأة واختلاطها مع الرّجال، ألا هو ما دام البنت مؤدبة فليس عليها خوف!

لا شكّ بأنّ هذا المثل باطل؛ لأنّه مخالف لكتاب الله وسنة رسول الله (ﷺ) وإجماع الأمة، كون شريعة الله أمرت بالحياء والحثّ عليه، فالحياء شعبة من شعب الإيمان كمال قال (ﷺ): «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[1]، فالمرأة

---

١ - رواه البخاري برقم ٩ ومسلم برقم ٣٥.

إن فقدت حيائها وتجرئت في مخالطتها الرّجال، فحينئذٍ ستصبح فريسة لشياطين الإنس، والجنّ، وكما قيل في الأمثال " لكلّ ساقطة لاقطة" والسّبب هو فقدان سياج الحياء لها، فلا خير في امرأة خلعت خمار حيائها، فكل الخير للمرأة في حيائها، فهو صِمَام أمنها، وأمانها. ولأهمية صبغة الحياء للمرأة ذكر الله قصة إحدى المرأتين الراعيتين لغنميهما، في قصتهما مع موسى، قال تعالى: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ **[القصص:٢٥]**، فكانت تمشي مشي العفيفات الحرائر اللّاتي لا يتكسرن في مشيتهن، فسمّى الله تلك المشية بالاستحياء، ثمّ غض البصر من الحياء، وقد أمر الله النّساء بذلك كما قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ **[النور:٣١]**، والأدلّة في طلب الحياء كثيرة جداً، إذاً: هذا المثل فاسدٌ لأنّه يأمر بالفحشاء والمنكر، ونبذ الحياء، فهو بريد إبليس، وهذا ما يريده من النّساء ليصطاد بهنّ قلوب الرّجال؛ ليُهلك الأخلاق لتعمّ المعاصي بيوت المسلمين، وحياتهم وطرقاتهم، فعلى المسلم أن لا يسلّم قلبه ولسانه لكلّ مثل يخالف شرع الله، بل يسلّم قلبه لله ولشرعه.

قول القائل: "جنّ يتلبّسك"

يكثر قولها عادة عند حدوث الخصومات، والمشاجرات بين النّاس، بل نسمع قولها من بعض الآباء والأمهات على أولادهم الصّغار عند حدوث مخالفات منهم، إنّ دعاء المسلم على المسلم، أو دعاء الوالدين على أبنائهم بهذا فيه شرّ عظيم وفيه استعانة بالشّيطان الرّجيم على المسلم؛ لأنّ الجنّ الّذين يتلبّسون النّاس، ويصرعونهم هم شياطين الجنّ، فلا ينبغي للمسلم أن يعين الشيطان على أخيه، كما جاء النّهي عن ذلك في قصة الذي كان يشرب الخمر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:" أُتِيَ النَّبِيُّ (ﷺ) بِسَكْرَانَ، فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ. فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِيَدِهِ وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِنَعْلِهِ وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ: مَا لَهُ أَخْزَاهُ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «لاَ تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ»[١]، فالنبيّ (ﷺ) جعل الّذي يدعو على أخيه بالشّر عوناً على أخيه؛ فكيف بالّذي يطلب من الشّيطان أن يتلبّس أخاه أو أبنه!

فعندما تسمع شياطين الجنّ هذا الدّعاء تتعاظم في نفسها ويزداد غيُّها، وربما تستجيب لمن دعا لأنّ ذلك يوافق مقصدها في النّيل من المسلم وأذيته، والدعاء بهذا ليس من أخلاق المؤمنين الذين وصفهم الله تعالى بالرحمة بينهم والتعاون على البر والتقوى؛ وجعلهم كالبنيان يشد بعضهم بعضا، وكالجسد الواحد وأن المؤمن الّذي كمُل أيمانه، هو الّذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

١ - رواه البخاري رقم ٦٧٨١.

لولا آدم ما خرجنا من الجنة

تسلّطت ألسنة كثير من الناس؛ في عتاب أبينا ونبيّنا آدم (عليه السلام)؛ بأنّه هو السبب في تعاستهم وضيق عيشهم وكبدهم ومكابدتهم صروف الحياة، وتقلبهم بين البؤس، والحزن، والفرح والسرور، وإلى غير ذلك من أنواع الابتلاءات الّتي تنزل بالإنسان، فكثير من الناس ما إن ينزل عليه ابتلاء حتى يقول تلك القولة يعاتب فيها نبيّه إمّا تسخّطاً عليه، أو تهكّماً، جزعاً من أقدار الله وعدم الصّبر عليها، فيحمله قلة الصبر على قول كلام من سخط الله.

ما يتكلمه الناس بأنّ آدم سبب إخراج ذريّته من الجنّة هذا حقٌّ ولكنّ مفهوم تلك الحقيقة يختلف عن ما تولّد في أفهامنا من قبل، ويتبيّن ذلك من خلال مناظرة آدم وموسى فيما أخبر به محمدٌ (ﷺ): أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): "احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالاَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ، ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى مَرَّتَيْنِ»[1]، ورواية أخرى:

" احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلاَمِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى"[2].

وَمَعْنَى كَلَامِ آدَمَ أَنَّكَ يَا مُوسَى تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا كُتِبَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أخلق وقدر علي

---

١ - أخرجه البخاري برقم ٣٤٠٩ ومسلم برقم ٢٦٥٢

٢ - أخرجه البخاري برقم ٦٦١٤

فلابد مِنْ وُقُوعِهِ وَلَوْ حَرَصْتُ أَنَا وَالْخَلَائِقُ أَجْمَعُونَ عَلَى رَدِّ مِثْقَال ذَرَّةٍ مِنْهُ لَمْ نَقْدِرْ فَلِمَ تَلُومُنِي عَلَى ذَلِكَ؛ وَلِأَنَّ اللَّوْمَ عَلَى الذَّنْبِ شَرْعِيٌّ لَا عَقْلِيٌّ، إِذْ تَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى آدَمَ وَغَفَرَ لَهُ زَالَ عَنْهُ اللَّوْمُ فَمَنْ لَامَهُ كَانَ مَحْجُوجًا بِالشَّرْعِ[1].

تبيّن من تلك المناظرة والمحاجاة مسائل:

أولاً: لا يجوز للمسلم أن يلوم العاصي على معصيته بعد التّوبة، فإنّ آدم عليه السلام بصريح ومنطوق القرءان تاب الله عليه، كما أخبر سبحانه وتعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝١٢٢﴾ **[طه:١٢٢]**.

ثانياً: لابد من الأدب مع أنبياء الله فيما أخبر به سبحانه، وتعالى عن زلّاتهم.

ثالثاً: لله الحكمة البالغة في ابتلاء آدم في جنته، وتسليط إبليس عليه.

رابعاً: لله أن يعاتب أنبياءه متى ما شاء، وذلك ليس لعباده.

خامساً: لا ينبغي للمسلم أن يقحم نفسه فيما قدّره الله في شأن مخلوقاته .

سادساً: على المسلم أن يعمل بما أراده الله منه، ولا يبحث فيما أراده فيه.

سابعاً: سبب إخراج آدم هو عدوُ الله إبليس كما أخبر سبحانه وتعالى، فليحرص المسلم منه حتى لا يخرجه كما أخرج أبانا آدم عليه السلام.

---

١ - شرح النووي على مسلم ج١٦ ص: ٢٠٢.

لو أنّ محمداً (ﷺ) من عشيرة كذا وكذا ما آمنت به!!

إنّ الغلو في الحسب والنّسب؛ يخرج المرء عن مكارم الأخلاق، وينزل به للدرك الأسفل في وحل وصديد سوء الأخلاق، الّتي ربما تنزل بصاحبها الدرك الأسفل من النّار.

نسمع مثل سقط هذا الكلام يخرج من سقط الرّجال في الغلوّ، والتّغني، والتفاخر في الأحساب، والأنساب، فكلّ فريق يتغنى بحسبه ويهجو حسب ونسب غيره، ويرجمه بأبخس الكلام، وأرذله، وتسمّى هذه الظاهرة في زماننا بـ (العشائرية).

لا شكّ بأنّ المناداة للعشائريّة والغلوّ فيها؛ سبب لانحراف المسلم عن الأخلاق والفضيلة فيوقع صاحبه بأقبح الألفاظ وأشنعها، وهي من سخط الله، ومن ذلك تلك المقولة، لغلوه في حبه لأهله وعشيرته؛ يدّعي لو أنّ الله جعل محمداً (ﷺ) من عشيرة كذا وكذا ما كان منه إلّا أن يكفر بمحمد (ﷺ)، !!.

إنّ مثل هذا الكلام ينبئ عن جهل قائله، وسفه عقله، وطيش فكره! ولقد قال قائلها كلمة الكفر، سواءً كان في معرض اللّعب أو الاستهزاء، أو غير ذلك، ولقد شابه كلام وقلب المتحدّث بها كلام، وقلوب صناديد الكفرة من قريش، والمغضوب عليهم كاليهود، حينما لم يرض طواغيت قريش أن تكون النّبوة من بني هاشم، فبين الله سبحانه وتعالى ذلك: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ **[البقرة:٨٩]**، فاليهود قد كفروا بمحمد (ﷺ) حينما سمعوا أنّ النّبيّ الّذي بُعث ليس من جنسهم ولا من أبناء جلدتهم.

إنّ المناداة باسم العصبية العشائريّة؛ فهي من دعوى الجاهليّة الّتي حاربها الإسلام، كما جاء في الخبر عن رسول الله (ﷺ):" أنّ جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ)، وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا، فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ (ﷺ)، فَقَالَ: " مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ؟ ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ " فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ المُهَاجِرِيِّ الأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ»[1].

إذاً: تلك المقولة فيها مناهي شرعيّة، منها: أولاً هذه الكلمة كلمةُ كفرٍ.

ثانياً: عدم توقير نبيّناﷺ كما أمرنا سبحانه وتعالى بذلك: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ **[الفتح:٩]**.

ثالثاً: فيه تشبّه بالكفار في مقالتهم هذه.

رابعاً: فيها إحياء سنن الجاهلية والعمل بها وقد نهانا الإسلام عنها؛ لأنهّا لا تأتي بخير.

فعلى المسلم أن يحذر من زلّة لسانه قبل أن يُبتلى فزلات اللسان تورد أصحابها الموارد، من غضب الله وعقابه، وناره.

---

١ - رواه البخاري رقم ٤٩٠٧ومسلم برقم ٢٥٨٤.

طيّب القلب ما بعيش في هيك زمان وأمّا اللئيم هو من يعيش

هذا الكلام فيه دعوة لسيء الأخلاق وترك محاسنه، وهذا يضادّ ما جاءت به شريعتنا.

يقال مثل هذا الكلام حينما يكون الإنسان محسناً للآخرين بقلبه، وعمله، ويقابله الآخرون بعكسه، ولا يتوقع منهم حصول ذلك، ويتولّد في نفسه من تجربته تلك؛ بأنّ العمل الصّالح لا يثمر، ولا يغني نفعاً، وأنّه لا يجرّ له إلّا الخزي والنّدامة، وأنّ الّذي ينفع مع الناس، مساوئ الأخلاق، وأرذلها. لكن لا شكّ بأن هذا المفهوم مفهوم خاطئ، لا شأنّ له بما يحدث مع المرء بتجربته مع الآخرين لأنّ كلّ إنسان يعمل بشاكلته، إن كانت خيراً فخير، وإن كانت شرّاً فشرّ.

لقد جاء الإسلام بمحاسن الأخلاق ورغّب فيها، وحرّم مساوئه، وجاء ليطّهر القلوب من الضغائن والإحَنِ، وذمّ القلوب القاسية، فوصفه ووصف أهلها بأقبح الأوصاف، وأنكرها.

لا ريب؛ بأنّ المسلم مأمور بأن يعامل النّاس بما أوجبه الله عليه من حسن العشرة، وحسن الجوار، وبذل أطيب الكلام، ولو كانوا يسيئون، ولا يكن لإنسان إمّعة؛ إنّ أحسن الناس أحسن! وإن أساؤوا أساء! بل على المسلم أن يثبت ويستقيم على أمر الله كما أُمر، فالمسلم لا بدّ له من مخالطة الناس، ولا بدّ أن يأتيه من شرّهم وخيرهم فهذه هي سنن الحياة، :" عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ." [1]

فالمسلم أيضاً يُغرر به لطيبة قلبه ولا عيب في ذلك، فقد جاء مدحه بذلك كما

---

١ - رواه الترمذي برقم ٢٥٠٧ وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم ٢٥٠٧.

أخبر النبيّ (ﷺ): "عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ﷺ) المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم"[1].

"قَالَ الْخَطَّابِيُّ فِي الْمَعَالِمِ مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ الْمَحْمُودَ هُوَ مَنْ كَانَ طَبْعُهُ وَشِيمَتُهُ الْغِرَارَةَ وَقِلَّةَ الْفِطْنَةِ لِلشَّرِّ وَتَرْكَ الْبَحْثِ عَنْهُ وَأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْهُ جَهْلًا لَكِنَّهُ كرم وحسن خلق."

١ – رواه الترمذي برقم ١٩٦٤ وابواداود برقم ٤٧٩٠، وصححه الألباني صحيح الترمذي بنفس الرقم.

الله خلقها وكسر القالب

يقال مثل هذا الكلام الباطل في المبالغة في الإطراء في وصف جمال امرأة من النّساء، أو إلى غير ذلك.

الإسلام أرشدنا إلى ما هو خير من هذا الكلام الباطل عند الإعجاب بجمال الأشياء كما جاء في الكتاب والسّنة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ **[الكهف:٣٩]**، وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْن سَهْلِ بْن حُنَيْفٍ، قَالَ: مَرَّ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ بِسَهْلِ بْن حُنَيْفٍ، وَهُوَ يَغْتَسِلُ فَقَالَ: لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ، وَلَا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ فَمَا لَبِثَ أَنْ لُبِطَ بِهِ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيَّ (ﷺ) فَقِيلَ لَهُ: أَدْرِكْ سَهْلًا صَرِيعًا، قَالَ «مَنْ تَتَّهِمُونَ بِهِ» قَالُوا عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ، قَالَ: «عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ، فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ» ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ، فَأَمَرَ عَامِرًا أَنْ يَتَوَضَّأَ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، وَرُكْبَتَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَصُبَّ عَلَيْهِ قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ: وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْفَأَ الْإِنَاءَ مِنْ خَلْفِهِ"[1]،

فعلى الإنسان إن أعجبه شيء، فليدع لصاحبه بالبركة والخير، ولا يتكلم بشيء يغضب الله سبحانه وتعالى. وأمّا قول القائل" الله خلقها وكسر القالب": فهو قول باطل؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى يصوّر عباده كيف يشاء، فكم في خلق الله من مخلوقات جميلة في غاية الحسن والإبداع بعضها أجمل من بعض، وكم من امرأة تزهوا في عين ناظرها! ولا تزهوا في عيون الآخرين، فمسألة الإعجاب مسألة تختلف من شخص لآخر، ومثل هذا الكلام فيه أيضاً، كذبٌ على الله وتقوّل على الله ، وقد نهى الله عن التّقول عليه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ **[الإسراء:٣٦]**، ومن المحاذير أيضاً، فيه تشبيه الخالق بالمخلوق، في الصنع، فالله ليس كمثله شيء، كما وصف الله نفسه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ **[الشورى:١١]**. فالله لا يعجزه شيء في الخلق والإيجاد، فالعجز من صفات المخلوقات، فتبارك الله أحسن الخالقين.

---

١ - رواه ابن ماجة برقم ٣٥٠٩ وصححه الألباني.

درّس البنت لكي تخرج من خطيئتها

كان النّاس من قبل يتنافسون، ويحرصون على تدريس الشاب؛ لكي يتحصّل على شهادة، فيكسب من خلالها مالاً يقيه الفقر، ويسد حاجته، وما يطمع فيه، ثمّ خلف من بعد ذلك خلفٌ يحرصون كلّ الحرص حتى دعاهم ذلك للتنافس في تدريس الأنثى؛ لكي تكسب مالاً، ويطمع في زواجها من أراد الباءة، أو لكي تعتمد على نفسها في مجالات الحياة، وهنالك مفاهيم أخرفي سبب تدريس الأنثى في الجامعات، ثمّ أصبح هذا المفهوم عند غالب النّاس متعلّقاً، بمسألة التأثيم، والحرمة لمن لا يدرس ابنته، فأتو بهذا الكلام بقولهم "أخرج من خطيئتها، فبنوا على التعصّب لتعليم الأنثى حكماً شرعياً، بأنّ تعليمها في الجامعات المختلطة وغير المختلطة واجب عينيٌ على كلّ ولي أمر؛ بأنّ عدم تدريسها خطيئة من الخطيئات، فمن درسها خرج من الإثم ومن لم يدرس باء بالإثم.

هذا الكلام فيه ما فيه من الكذب والافتراء على الله ورسوله (ﷺ)؛ لأنّ الله أوجب على المرأة أموراً شرّعيّة على عكس رؤية ما يراه الناس، فالّذي أوجبه الشّارع الحكيم على المرأة أن تتعلم أمور دينها تجاه ربها سبحانه وتعالى، ولم يلزمها الشّارع بأن تخرج للعلم والتعلّم في معارك الاختلاط، وجرائمه الأخلاقية، ولست أبغي التكلّم عن عمل المرأة جائز، أو غير جائز، بل فحوى الكلام؛ بأنّه لا ينبغي لنا أن نوجب ما لم يوجبه الله فيكون المتكلّم بذلك بمقام من شرّع ما لم يشرّعه الله، لقوله:﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ **[النحل:١١٦]**. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ **[يونس:٥٩]**. فمسألة خروج المرأة للعلم الشّرعي منضبطة تحت ضوابط شرعيّة، فكيف بخروجها للعلم الدنيوي، وما يترتب عليه من اختلاط محرّم، وسفر من غير مَحرَمٍ، وغربتها عن أهلها، وإلى غير ذلك من الآثار السلبيّة، فالإسلام أوجب على

المرأة أن تقرّ بيتها، ولم يأمرها بالخروج إلّا لحاجة توجب عليها ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ **[الأحزاب:٣٣]**، حتّى الجهاد لم يوجبه على المرأة، لما يترتب على خروجها من مفاسد كثيرة، وكم نرى ونسمع عن أمور عظام في خروج الأنثى أكان الخروج للعمل، أو للجامعات، أو للأسواق، فأعداء الله يخطّطون ليل نهار، ولا يفترون، في إخراجها من عفتها وبرقع حيائها وطرح جلباب سترها، فكلّ الخير للمرأة أن تكون في مكانها الّذي ارتضاه الله لها ألا هو، بيتها ومستقرّ أمنها وحياتها.

إنّ غالب التّجار يتّجرون ببيوع محرّمة فيها ما فيها من الخطر العظيم على حياة النّاس، من ذلك بيع سجائر الدّخان، وعندما يُنكر عليهم بيعه لما فيه من المضار الدينية، والجسديّة، يأتون بكلام وبرهان واهٍ بقولهم؛ إنّ بيع الدّخان يأتي برزقٍ للمكان ويدخل عليه بركة المال، حتّى أصبح وأمسى هذا الكلام متفق عليه عندَ غالب التّجار وأصبح في قلوبهم عقيدةٌ!.

على كل تاجرٍ مســلم أن يتعلّم فقه البيوع؛ لكي يعلم حلاله من حرامه، فمن باع واشــترى من غير علم في فقه البيوع، فلا شــكّ في وقوعه في محاذير كثيرة، وعظيمة كمثل الوقوع في الرّبا، والغبن، والغش والحيل، وكلّ بيع محرّم، فيفضي بيع المحرّمات إلى مفاســد كبيرة، وكثيرة، فكســب التاّجر لا بدّ أن يكون مبروراً، كما قال (ﷺ)،" وعن رافع بن خديج رضـي الله عنه قال قيل يا رسـول الله أي الكسب أطيب قال عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور"[1] فالمبرور: هو الّذي لا إثم فيه، فالكســب الحرام ممحق للبركـة، والزيـادة ونماء المال، كما قال تعالى:﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ **[البقرة:٢٧٦]**.

إذاً: هذا المفهوم الّذي اصطّلح عليه ألسنة التّجار؛ فيه مخالفات شرعيّة: من ذلك بيع المحرّم، والإضرار بالنّاس، وأيضاً فيه شرك؛ لأنّ اعتقاد التّجار بأنّ بيع الدّخان مجلب للأرزاق، فالرّازق هو الله، فهو الرزّاق ذو القوة المتين، فعلى التّاجر أن يبحث عن بركة المال، لا عن كثرته، فكم من تاجر بيعه حلال، وقليل ماله وبركته كثيرة، وعلى عكس ذلك كثير المال ولكن لا بركة فيه، فبركة المال وطهارته يكمن في صدق التّاجر، وحرصه على الحلال كما قال (ﷺ)" قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): " البَيِّعَان بِالخِيَار مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، - أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا"[2].

الّي ما له حظ ولا يتعب ولا يشقى

١- رواه أحمد والبزار وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ١٦٩١.

٢ - رواه البخاري برقم ٢٠٧٩ ومسلم ١٥٣٢.

عندما يسعى الإنسان لحاجته، ومأربه، ثمّ يكرّر السعي؛ للحصول على ما يريد، ثمّ لا يوفّق له، عندها يقول لنفسه، ويُقال له، "الّي ما له حظ لا يتعب ولا يشقى".

إنّ مثل هذا الكلام ينبئ عن عجز قائله ويأسه وقنوطه من رحمة مولاه "سبحانه وتعالى" فالإنسان مأمور بالسعي في مناكب الأرض، والأخذ في أسباب طلب الرّزق، مع توكله على ربه حقّ التّوكل، وعلى المسلم أن يؤمن بقضاء الله وقدره، وهو ركنٌ من أركان الأيمان كما جاء في الحديث :" عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ)، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ (ﷺ)، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ"[1]، فالمسلم لابدّ أن يحسن الظّنّ بالله فيما قدّره له، فكلّ ذلك له خير، كما قال (ﷺ): "عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ(ﷺ): «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»"[2]، فلا ينبغي للإنسان أن يقنط وييأس إن تأخر رزقه أو قضاء أيّ حاجة له، بل عليه أن يصبر، ويتصابر؛ لأنّ الله سيجعل بعد عسر يسرا، وقول القائل مثل ذلك الكلام، فيه سوء ظنّ في حقّ الله؛ لأنّ الله ليس بظلّام للعبيد، وهو الرحمن الرحيم ذو الرّحمة الواسعة، وكأنّ القائل اطّلع الغيب فيما قدره الله له وعلم بأنّه لا حظ له في الدّنيا!!! ثمّ الشّقاوة ليست شقاوة قلة المال، أو الرّياسة، بل الشّقاوة شقاوة الآخرة، كما قال تعالى عن أصحب الجحيم: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي

---

١ - رواه مسلم رقم ١

٢ - رواه مسلم برقم ٢٩٩٩

ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ **[هود ١٠٦:١٠٧]**.

على المسلم أيضاً أن لا يجزع عند المحن، بل يستمر في العمل، وطلب رزقه لحين يأتي الأجل، فرزق الإنسان آتيه وإن أبطأ، عنه كما جاء في الحديث: " عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ»[1]، ما على المسلم إلاّ أن تطيب نفسه بقضاء الله له دون جزع ولا يأس مع الرضا بما قدره الله له فيحصل له من الخير العظيم بصبره.

خلّي الدّين على جنب

كلمةٌ نسمع دوّيها من أصوات المتكلّمين بها؛ حينما يحدث بينهم خلا ف فيريد أحدهم أن يردّ الخلاف لله وكتابه، ولرسوله (ﷺ)، كما قال تعالى في ردّ المشاجرة،

١ - رواه ابن ماجة برقم ٢١٤٤ وصححه الألباني بنفس الرقم في صحيح وضعيف سنن ابن ماجة.

والجدل له ولرسوله (ﷺ): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ **[النساء:٥٩]**.

فعندما يحتدم الجدل بين متخاصمين، أو متجادلين، أو على أيّ صفة كان الكلام، فيقول أحدهما للآخر دعنا نتحاكم لدين الله، فيقول الآخر دعنا من الدّين، لنناقش بالعقل واطرح الدّين على جنب!!.

لا شكّ بأنّ فصل الدّين عن الدّنيا، من عمل الشّيوعيّة، والعلمانيّة، ومن ذهب مذهبهم، فهي كلمة كفر وردّة عن الإسلام، فالإسلام جاء ليطهر الدّنيا من رجس الجاهليّة ومن نجاسة الكفر، ليخرجهم من الظلمات إلى النّور، حيث إنّ الإسلام جاء، ليحقق مصالح العباد في مقاصدهم الدّينية، والنّفسيّة، والعقليّة، ونسلهم، وأموالهم، هذا هو مقصد الرسالات السماويّة الشّرعيّة ومقصد بعثتهم صلوات ربي، وسلامته عليهم. ومن كمال إيمان العبد، أن يتحاكم إلى الله ولرسوله كما أمر الله بذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ **[النساء:٦٥]**.

تبيّن من ذلك أنّ تلك المقولة من المناهي اللّفظيّة؛ الّتي تدعوا إلى التحاكم إلى العقل والهوى وترك شرع الله، فالعقل قاصر عن أدراك مصالحه، والهوى الّذي خارج عن هوى الكتاب والسـنّة فهو مربّد الشـبهات، والشـهوات، وهو طريق لخطوات الشيطان، وضلال عن سبيل الله، كما قال تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ **[ص:٢٦]**.

شاءت الظروف بأن يكون كذا وكذا

إنّ الظروف: هي الأزمان الّتي خلقها الله سبحانه وتعالى، وأوجدها لعباده ؛ خلفةً لمن أراد أن يذكر، أو أراد شكوراً، فالظروف جمع ظرف وهو: الزّمن، ولا ريب بأنّ الزّمن لا مشيئة له أي لا إرادة له ولا ينبغي أن ننسب للمعاني بأنّ لها مشيئة، فهذا خلاف العقيدة السليمة في جانب توحيد الله عزّ وجلّ، وإنّما المشيئة بيده سبحانه وتعالى، وما يحدث للإنسان من خير، أو شرّ فهو من قضاء الله وقدره وإرادته، لقوله: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ **[الرحمن:٢٩]**، أي: شأنه أن يعطي ويمنع ويعز، ويذل ويجبر، ويكسر، ويحيي، ويميت، ويرفع، ويخفض، ولا رادّ لحكمه، فعّال لما يريد، فالزّمن هو الليل والنهار، اللّذان يحدث فيهما تصريف الله وقضاءه لخلقه من خير أو شرّ، كما قال تعالى في الحديث القدسي: « يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ:، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» [1]، فتقليب الزّمن مما فيه من خير أو شرّ، هو من عند الله لا من تصرّف الزمن، فليحرص المسلم على تعلّم عقيدته، لكي يحذر من الوقوع في المناهي اللفظيّة.

يا حرام ما بستاهل الّي صار معه

١ - رواه البخاري برقم ٧٤٩١ ومسلم برقم ٢٢٤٦.

يُقال مثل هذا الكلام حينما يُصاب إنسانٌ بشيءٍ من أقدار الله الكونيّة، من موت، أو مرض، أو فقر، أو موت البنين والبنات، أو أيّ نقص من الأنفس والثمرات أو أيّ آفة يُصاب بها؛ فعندما يسمع النّاس من قريب أو بعيد عن ما وقع على ذاك المبتلى من الابتلاء إلّا ويتعاطف الناس معه، حزناً على ما أصابه ثمّ يقولون قولتهم هذه "يا حرام".

يدل مثل هذا الكلام على عدم الرّضا بما قدّره الله لعباده من مرّ القضاء، وإن لم يقصد القائل هذا المعنى، ولكنّه يبقى من المناهي اللفظيّة، وفيه اتهامٌ لله في حكمته البالغة لعباده، وفيه اتهام الله بالظلم، لأنّ قول فلان ما بتساهل الّي صار معه" يدل على عدم رحمة الله به، وهذا لا ينبغي في حق الله سبحانه وتعالى، فالله رحمن ورحيم ولطيف في عباده ، كما وصف الله نفسه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ **[الأعراف:١٥٦]**، وفي كلّ يوم نقرأها في صلواتنا: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ **[الفاتحة:٣]**، وقال تعالى في لطفه بعباده:﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ **[الشورى:١٩]**، ونفى الله عن نفسه الظلّم كما قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ **[فُصِّلَت:٤٦]**، فالمسلم لا يعلم ما هو الخير له فكم من إنسان يظنّ بأنّ الابتلاء شرّ له، وهو خير له، وعلى العكس من ذلك يظنّ الخير خيراً له وهو شرّ له ، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ **[البقرة:٢١٦]**، فما يُصيب المسلم من سرّاء أو ضرّاء، فخيرٌ له، كما أخبر الصادق المصدوق، (ﷺ) بذلك: "عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ):«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[١]، فعلى المسلم إن أصابته، أو أصابت أخيه المسلم ضرّاء أن يكتفي بذكر الله بقول قول الله تعالى:

---

١ - رواه مسلم برقم ٢٩٩٩.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ **[البقرة:١٥٦]**، فعند المصائب لا يقال إلا ما يرضي الرّبّ سبحانه وتعالى.

تفاقيد الله رحمة

تُقال هذه المقولة للمريض حين زيارته، من باب الدّعاء له وتبشيره بثمرة الصّبر للمريض الصّابر، وأنّ هذا الابتلاء فيه رحمة للمريض، ولا يقصدون بها إلّا خيراً.

لقد بيّن لنا نبيّنا محمد (ﷺ) آداب زيارة المريض، وماذا يقال له عند زيارته، فنكتفي بما جاء من الآثار الواردة الّتي جاءت بها السّنة، وندع ما سواها من المخالفات الشّرعيّة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: «لاَ بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» فَقَالَ لَهُ: «لاَ بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»[1]، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)، قَالَ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا، لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مِرَارٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ، إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ »[2]،

وأمّا قول تفاقيد فهذا خطأ شائع، لايجوز في حقّ الله، لأنّ من صفات الله العلم المطلق والإحاطة المطلقة بعبادة، عالم الغيب والشهادة وهو العليم الخبير. والتّفقّد: تطلُّبُ ما غاب من الشيء[3]، وهذا مستحيل على الله، فصفات الله في غاية الحسّن والكمال، والجمال.

يوم شاب ودّوه على الكتّاب

١ - رواه البخاري برقم ٣٦١٦.

٢ - رواه الترمذي برقم ٢٠٨٣، وأبو داود برقم ٣١٠٦ وصححه الألباني .

٣ - لسان العرب مادة فقد.

يُقال مثل هذا الكلام لمن طلب العلم في سنٍّ غير مبكرة؛ حينما شاب الشّعر وكبر السّن، حتّى أصبح مثلاً لمن طلب العلم في مثل هذا الوصف، فيقوله النّاس؛ تثبيطاً، وسخريّةً، لمن طلب العلم في مثل هذا العمر.

إنّ مثل هذا الكلِم يفرّح أعداء الأمّة الإسلاميّة، بل يثلج صدورهم، لأنّ ذلك علامة وسمة تدلّ دلالة واضحة على كراهة العرب للعلم والتّطوّر والعلوّ في علومها، فهذا هو الّذي يفرح الأعداء، وهذا ما يسعون إليه في حربهم على الإسلام، وللأسف أمّة الكفر تبني حضارتها بالعلم والدّعوة إليه، بل يحرّضون كبار السّنّ قبل صغارهم على العلم والبناء! وما سادت أمم الكفر والطّغيان على أمتنا؛ إلّا بالعلم والمعرفة والتّحريض عليهما، ونحن لا زلنا نردد أمثالاً سيئة ساقطة ونتغنى بها، ونحن جاثمين على وجوهنا سنتصرخ صدى أصواتنا لعلّ من يغيثنا من ويلاتٍ قد فتكت بنا ﴿كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ **[الرعد:١٤]**.

إنّ العلم الشّرعيّ، أو المباح الّذي لا إثم فيه، لا يتطلّب شرطاً بعمر محدّد، بل الأمر واسع لا تضييق فيه بتحديد العمر، لكن لا شكّ بأنّ العلم في الصغر أثبت، ولكن مدح العلم في الصّغر لا يؤخذ منه عدم طلب العلم في الكبر، بل جاء عن أصحاب رسول الله (ﷺ) بأنّهم تعلّموا في حال الكبر كما جاء صريحا من قول البخاريّ: «وَقَدْ تَعَلَّمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ (ﷺ) فِي كِبَرِ سِنِّهِمْ»[1]، فطلب العلم في سنّ متأخرة أمرٌ لا يُعيّب صاحبه، بل مدح ومنقبة لفاعله.

ماشي على كف الرحمن

١ – ج١ ص: ٢٥ باب : الاغتباط في العلم.

يُقال مثل هذا الكلام؛ عند سؤال النّاس أحدهم للآخر فيما يتعلق بشأن معيشته وحياته اليوميّة، فيجيب "ماشي على كفّ الرّحمن" كنايةً عن الرّضى بقدر الله والتّسليم لأمره.

لا ريب بأنّ الرّضى بقدر الله من لوازم الأيمان، كما أنّ إثبات الكفّ لله، من الإيمان بتوحيد الله وصفاته، وقد دلّت النّصوص النّبويّة الصّحيحة على ذلك: عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ»[1]، فنثبت الكفّ لله من غير تمثيل ولا تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، كما هي عقيدة أهل السنّة والجماعة في باب الأسماء والصّفات.

فأمّا المشي على كفّ الرحمن، فهذا قول مخالف شرعاً للعقيدة السّليمة، بل هي عقيدة النّصارى، والجهمية في جواز مخالطة الرّب للبشر، فليس في ذلك تنزيهٌ لله من مخالطته البّشر

لأنّ الله عزّ وجلّ بائن من خلقه، قريب منهم بسمعه وبصره وعلمه.

فقول القائل" ماشي على كف الرّحمن: حرام شرعاً.

ساعة وساعة

---

١ - رواه مسلم برقم ١٠١٤.

يُقال مثل هذا الكلام في باب التّرفيه عن النّفس، والرّفق فيها، وهذه المقولة، مقتبسة من قول رسول الله ﷺ لأصحابه : عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ، قَالَ: - وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُول اللهِ (ﷺ) قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُول اللهِ (ﷺ)، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُول اللهِ (ﷺ)، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُول اللهِ (ﷺ)، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[1].

معنى الحديث: "مَعْنَاهُ أَنَّهُ خَافَ أَنَّهُ مُنَافِقٌ حَيْثُ كَانَ يَحْصُلُ لَهُ الْخَوْفُ فِي مَجْلِسِ النَّبِيِّ (ﷺ) وَيَظْهَرُ عَلَيْهِ ذَلِكَ مَعَ الْمُرَاقَبَةِ وَالْفِكْرِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْآخِرَةِ فَإِذَا خَرَجَ اشتغل بِالزَّوْجَةِ وَالْأَوْلَادِ وَمَعَاشِ الدُّنْيَا وَأَصْلُ النِّفَاقِ إِظْهَارُ مَا يَكْتُمُ خِلَافَهُ مِنَ الشَّرِّ فَخَافَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ نِفَاقًا فَأَعْلَمَهُمُ النَّبِيُّ (ﷺ) أَنَّهُ لَيْسَ بِنِفَاقٍ وَأَنَّهُمْ لَا يكلفون الدوام على ذلك سَاعَةً وَسَاعَةً أَيْ سَاعَةً كَذَا وَسَاعَةً"[2].

فأمّا غالب النّاس في هذه الأيام يحرفوا الكلم عن مواضعه لمفهوم منطوق هذا الحديث؛ حيث إنّهم يسوغون لأنفسهم بارتكاب المناهي الشّرعيّة في حياتهم اليوميّة، فعندما ينكر عليهم، يأتون بتلك المقولة "ساعة وساعة"، فلا يجوز شرعاً أنّ نقوّل النبيّ (ﷺ)، مفهوما لم يرده، بل مفهوم قوله بأنّ الإنسان لا يستغني عن قيامه

١ - رواه مسلم برقم ٢٧٥٠.

٢ -شرح النووي ص ٦٧،ج١٧.

على أهله وبيته وماله وعمله، فهذا هو مقصد قوله (ﷺ):، فكلّ ذلك من المباحات شرعاً، فليس في الحديث ذكر إباحة المعاصي، فهذا هو معنى ساعة وساعة.

يخلف على الله

يُقال مثل هذا عندما يدعو الضّيف لصاحب الطعام والثّناء عليه بقول: الله يخلف عليك، فيردّ عليه المَضيف، بل يخلف على الله!.

في ذلك انتقاص في حقّ الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ خزائن السموات، والأرض بيده سبحانه وتعالى، لقوله: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ **[المنافقون:٧]**، ولا أحدٌ من عباده يملك من قطمير من غير إذن من الله، والّذي يخلف على عباده فيما يقدره ويقسمه عليهم من الأرزاق فهو الله سبحانه وتعالى، كما قال عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ **[سبأ:٣٩]**.

سقت الله عليك، أو سقت عليك الله

يقال مثل هذا الكلام، حينما يريد أحدٌ من النّاس؛ بأن يلزم الآخر في أمرٍ ما، فيقول له: "سقت عليك الله". مثلُ هذا الكلام فيه إثم عظيم، وعدم تنزيه الله من النقائص الّتي هو منزّه عنها، والسّوق والمسوق، فهي من صفات البشر الّتي تجوز في حقهم؛ لأنّه لا كمال في البشريّة، فالكمال والجمال والجلال في خالقهم سبحانه وتعالى.

سوق: السَّوق: مَعْرُوفٌ من ساقَ الإِبلَ وغيرَها يَسُوقها سَوْقاً وسِياقاً، وهو سائقٌ وسَوَّاق[1].

فالّذي يُساق هو الضّعيف الّذي لا يملك حولاً ولا قوةً، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وكما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ **[الزُّمَر:٧١]**.

مقصد النّاس هو تعظيم الله فيما يريدونه، ولكن العبرة بالألفاظ لا بالمقاصد.

حل عن ربّي

---

١ - لسان العرب ج١٠ ص: ١٦٦.

نسمع ذلك عندما حدوث مخاصمة، ومشاحنة بين اثنين، أو أكثر، فيقول أحدهما للآخر صارفاً له "حل عن ربي" ! عوذاً بالله مما قال.

لا ريب بأنّ تلك القولة من جنس الكفر بالله، ولكن لا يكفر صاحبها إلا بوجود الشروط وانتفاء الموانع، فإن كان جاهلاً بالحكم ومعناها فلا يكفر لوجود المانع لذلك.

بدل أن يقول الغاضب كمثل هذا الكلام الكفريّ، أرشدنا الإسلام للأنفع كماء جاء صريحاً في الكتاب، والسّنة، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ **[الأعراف:٢٠٠]**. اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ (ﷺ)، فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا، فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى انْتَفَخَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ: فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ» فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ (ﷺ) وَقَالَ: «تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ»[1].

الله فوق وفلان تحت

١ - رواه البخاري برقم ٦٠٤٨ ومسلم برقم ٢٦١٠.

بعض النّاس يغالي في حبّه لشخصٍ معين؛ فيطريه بكثرة المديح، وذكر محاسنه، حتى يجعله، ملكاً، أو إلهاً في الأرض من دون الله عوذاً بالله مما قال وافترى.

لا ريب بأنّ هذا الكلام يوافق عقيدة النّصار والجهميّة، وغلاة الملاحدة من أهل التّصوّف، بما تسمّى عقيدة الاتحاد والوجود، وهذا معتقدٌ باطل فيه كفر والحاد.

فمحبة الأنسان لأخيه، لا تعادل محبة الله ورسوله (ﷺ)، فضلاً على ذلك؛ بأن يتخذ رباً من دون الله، ولقد ذمّ الله المشـــركين حين ماثلوا بحب آلهتهم حبّ الله قال عزّ وجلّ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ **[البقرة:١٦٥]**. جعـلُ المخلوق كمثـل الخالق؛ فإنّه كفرٌ مخرج من الملة، فلا ينبغي للإنســان أن يغلو في محبته للمخلوقين، بل يتوسّـط في ذلك ويجعل المحبّة هوناً ما، كما بيّن ذلك النّبيّ(ﷺ): «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَـى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَـكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا»[1].

اذا ابراهيم كذب...!!

بعض النّاس يكذب ويتحرّى الكذب، ويتجرأ على الله ورسله، فعندما يُعاب

١ - رواه الترمذي برقم ١٩٩٧وصححه الالباني في صحيح الترمذي الرقم نفسه.

عليه في تحرّيه الكذب، يأتي بعذر قبيح بارد، بقوله:" ابراهيم عليه السلام كذب!!".
عندما يجتمع في المرء سوء السمت، وقلة العلم، يفسر ما يريد بهواه من غير استحياءٍ من الله، ويستدل بدليل لا يفهم معناه، ولا يعلم حقّ الأنبياء عليه، وعصمة الله لهم من كبائر الذنوب وصغائرها، فيستدل بالحديث الّذي يرويه الشيخان: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ إِلَّا ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ **[الصافات:٨٩]**. وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ **[الأنبياء:٦٣]**. وَقَالَ: بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةُ، إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَا هُنَا رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أُخْتِي، فَأَتَى سَارَةَ قَالَ: يَا سَارَةُ: لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرَكِ، وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكِ أُخْتِي، فَلاَ تُكَذِّبِينِي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ فَأُخِذَ، فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ لِي وَلاَ أَضُرُّكِ، فَدَعَتِ اللَّهَ فَأُطْلِقَ، ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ فَأُخِذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ، فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ لِي وَلاَ أَضُرُّكِ، فَدَعَتْ فَأُطْلِقَ، فَدَعَا بَعْضَ حَجَبَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بِإِنْسَانٍ، إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ، فَأَخْدَمَهَا هَاجَرَ، فَأَتَتْهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ: مَهْيَا، قَالَتْ: رَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الكَافِرِ، أَوِ الفَاجِرِ، فِي نَحْرِهِ، وَأَخْدَمَ هَاجَرَ "[1]."وَأَمَّا إِطْلَاقُهُ الْكَذِبَ عَلَى الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ فَلِكَوْنِهِ قَالَ قَوْلًا يَعْتَقِدُهُ السَّامِعُ كَذِبًا لَكِنَّهُ إِذَا حُقِّقَ لَمْ يَكُنْ كَذِبًا لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْمَعَارِيضِ"[2]، والمعاريض الّتي استخدمها ابرهيم عليه السلام فيها مصالح شرعية راجحة: حفظ الدّين وحفظ النفس والنّسل والله أعلم، ولصدق ابراهيم ومبالغته في الصّدق أثنى الله عليه بقوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ **[مريم:٤١]**.

بدعة حسنة

---

١ - رواه البخاريّ برقم ٣٣٥٨،ومسلم برقم ٢٣٧١.

٢ - فتح الباري ج٧ ص:٣٩١.

ترسّخ في عقول كثير من المسلمين، والحزبيين منهم، بأنّ البدعة تُقسم لقسمين: بدعة حسنة، وبدعةٌ سيئةٌ؛ تسويغاً وعذراً لأنفسهم بما أحدثوه في الدّين من عبادات ليست على هديّ النّبيّ (ﷺ) وعلى منهج السّلف رضي الله عنهم جميعاً.

غالب هؤلاء يستدلون بقول عمر في قوله: "نعمت البدعة هذه" فهذا ليس بدليل كما بيّنه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى، قال: " وَأَمَّا قِيَامُ رَمَضَانَ: فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) سَنَّهُ لِأُمَّتِهِ، وَصَلَّى بِهِمْ جَمَاعَةً عِدَّةَ لَيَال، وَكَانُوا عَلَى عَهْدِهِ يُصَلُّونَ جَمَاعَةً، وَفُرَادَى، لَكِنْ لَمْ يُدَاوِمُوا عَلَى جَمَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، لِئَلَّا تُفْرَضَ عَلَيْهِمْ. فَلَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ (ﷺ)اسْتَقَرَّتْ الشَّرِيعَةُ، فَلَمَّا كَانَ عُمَرُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – جَمَعَهُمْ عَلَى إمَامٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ أُبَيّ بْنُ كَعْبٍ الَّذِي جَمَعَ النَّاسَ عَلَيْهَا بِأَمْرِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– وَعُمَرُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– هُوَ مِنْ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، حَيْثُ يَقُولُ (ﷺ): «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي. عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» يَعْنِي الْأَضْرَاسَ؛ لِأَنَّهَا أَعْظَمُ مِنْ الْقُوَّةِ. وَهَذَا الَّذِي فَعَلَهُ هُوَ سُنَّةٌ؛ لَكِنَّهُ قَالَ: نِعْمَتْ الْبِدْعَةُ هَذِهِ، فَإِنَّهَا بِدْعَةٌ فِي اللُّغَةِ، لِكَوْنِهِمْ فَعَلُوا مَا لَمْ يَكُونُوا يَفْعَلُونَهُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) يَعْنِي مِنْ الِاجْتِمَاعِ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ، وَهِيَ سُنَّةٌ مِنْ الشَّرِيعَةِ."[1]

حتّى تكون العبادة مقبولة غير مردودة على صاحبها لا بدّ من توفر شرطين: النية الخالصة لله، وأن تكون موافقة لما جاء به النّبيّ (ﷺ)، فلا يكفي المرء أن تكون نيّته خالصة من غير إصابة في موافقتها سنة النبيّ (ﷺ).

وامّا تقسيم البدعة لبدعة حسنة وسيئة فهذا لم يرد عن النّبيّ ولا عن صحابته، ولقد جاء ذمّ البدعة بعمومها بقول" كل" وكلّ من ألفاظ العموم يدخل فيها الحسن والسيئ من البدعة، كما صحّ عنه(ﷺ) «وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[2].

قدر أحمق

---

١ – الفتاوى الكبرى ابن تيمية ج٢،٩٦

٢ – رواه مسلم برقم ٨٦٧.

الابتلاء قد قدّره الله على جميع ما خلق وقدّره تقديراً، والنّاس في ذلك على قسمين: قسم: راضٍ بما قدّره الله عليه من خيرٍ، أو شرّ، والقسم الثاني من النّاس: لم يرض بما قدّره الله له، وعليه، بل متسخطاً جازعاً يؤوساً قنوطاً، فلا تخرج كلمة الحمدِ من أسلة لسانه حين وقوعه في الاختبار، والابتلاء، وإنّما تسمع منه كلمات من سخط الله، ومنها ذلك القول" قدر أحمق".

ومعلوم لدى كلّ مسلمٍ بأنّ الإيمان بالقدر، من أركان الإيمان، كما جاء في حديث جبريل عليه السّلام": فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[1].

لقد أرشدنا الله إلى ما هو خير عند وقوع الابتلاء؛ لأنّه هو وحده سبحانه وتعالى من خلق الدّاء والدّواء، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ **[البقرة:١٥٧]**،

وقال النّبيّ (ﷺ)": «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[2].

وأمّا سبّ القدر هو سبّ لله كما جاء الحديث القدسيّ فيمن يسبون الدّهر ولا يرضون بما قدّره الله لهم: "يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ"[3]، فعلى المسلم أن يرضى بما قدّره الله عليه في حلوه، ومرّه كي يغنم في صبره على ذلك؛ ليوفيه الله أجراً كريماً.

الديمقراطيّة

١ - رواه مسلم برقم ٨

٢ - رواه مسلم ٢٩٩٩.

٣ - رواه البخاري برقم ٤٨٢٦، ومسلم برقم ٢٢٤٦.

كلمة نردّدها في باب دعوى حرّيّة الفكر والعمل والقول، وقد استرضعناها من ثدي الغرب وأمّة الكفر! من غير تحكيم لشرع الله.

فقبل التكلّم في الحكم الشرعيّ عليها، نبيّن منشأها ومعناها." معنى الديمقراطية ونشأتها

الديمقراطية: كلمة يونانية في أصلها، ومعناه: سلطة الشعب، والمقصود بها بزعمهم: حكم الشعب نفسه بنفسه عن طريق اختيار الشعب لحكامه، وهي الكذبة التي كان يرددها النظام الشيوعي.

ويذكر الباحثون أن أوَّل من مَارَسَ هذه النظرية هم الإغريق في مدينتي أثنيا وإسبرطة، ولكنها ارتبط في الغرب بالنظام السياسي والاقتصادي، بخلاف نشأتها عند الإغريق، وكانت طريقتهم تتمثَّل في أنهم كانوا يشكلّون حكومة من جميع رجال المدينة، وأطلقوا عليها اسم "حكومة المدينة" حيث يجتمع رجال المدينة لبحث كل أمورهم، ينتخبون لهم حاكمًا، ويُصْدِرُون القوانين في كل قضية تعرض عليهم، ويتخذون لها حلًّا يكون حاسمًا، ويشرفون جميعهم على تنفيذه بكل دقة وحزم، واستمروا على هذه الصورة الفريدة إلى أن انتهت حكومة المدينة في كل من أثينا وإسبرطة حينما غلبهم المدّ النصراني، وبرز رجال الكنيسة، وقد بقيت تلك الحكومة في ذاكرة الناس، ثم كان لطغيان رجال الكنيسة فيما بعد الأثر الحافظ على الرغبة في العودة إلى تلك الحكومة الغابرة، وظلَّ أهل أوربا يتوقون إلى الخلاص من قبضة رجال الكنيسة تحت أيّ تيار يسوقهم، علَّهم يجدون متنفسًا من أوضاعهم المخزية تحت سلطة الإقطاع والنبلاء والأشراف من البابوات، وكبار الملاك الظالمون لجميع طبقات الشعوب. ونجم عن كثرة الشطط ؛ الانفجار الذي تمثَّل في الثورة الفرنسية؛ حيث أخذ زعماؤها في التفتيش عن مصدر يحلّ محل ذلك الحكم البغيض، ولم يكن أيام حكم المدينة غائبًا عن أذهانهم، خصوصًا وقد اتَّصل كثير من الأوربيين بالمسلمين، وتفهَّموا كثيرًا من تصوارت المسلمين ونظامهم الإلهي العادل، الذي منعهم من الانقياد له حقدهم الشديد على الدين والمتدينين، ثم رغبتهم في الانفلات

من كل قيد وغير ذلك، فوقع اختيارهم على ذلك الماضي الجاهلي الإغريقي ونادوا بتجديده والسير على نهجه؛ كي يبعدهم عن شبح البابوات والأباطرة والإقطاعيين ومن جاء بعدهم من الجشعين الرأسماليين، فاتَّخذوه شعارًا -بِغَضِّ النَّظَرِ عن تحقيقه- يحاربون تحته، ومع طموح الشعوب إلى تحقيق هذا الحلم، فقد وجد الدعاة له من المشقَّة والتَّنكيل والسجن على أيدي أصحاب السلطة المستأثرين بها، وعلى أيدي البابوات والوجهاء والأثرياء في ذلك الوقت ما لا يوصف، وهو أمر بدهي، إلّا أنَّ دعاة تلك الديمقراطية لم يضعف عزمهم ولم تخنهم شجاعتهم، فكانوا كما قيل:

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للأبواب أن يلج

وتَمَّ له بعد الكفاح المرير الوصول إلى كراسيّ السلطة، وإخضاع أمراء الإقطاع والمستأثرين بالسلطة إلى الرضوخ للأمر الواقع، وزحزحت البساط من تحت أقدام البابوات، أصحاب الحق الإلهي المقدَّس بزعمهم، ومن تحت أمراء الإقطاع الذين كانوا لا يسألون عمَّا فعلوا والناس يسألون، وصدق الله تعالى حينما قال: ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ **[آل عمران:١٤٠]**. وابتلى الله الظالمين بعضهم ببعض، ولا يزال بأسهم بينهم شديدًا وقلوبهم شتَّى."[١]

أما الحكم الشرعيّ فيها: لا شكّ بأنها باب من أبواب الشرك وحكم بغير ما أنزل الله، ودين شيوعيّ، وعلمانيّ، يدعوا لتحكيم الهوى، والسيطرة لمن غلب، فلا حريّة فيها بل هي اسم من غير معنى، ففي الديمقراطية: ظلم وجور وسفك للدماء ونهب للأموال وضياع للأنفس والعقول، ودمار البلاد والعباد، وترجمة ذلك موجود على أرض الله، فالرّحم الّتي تخرج من الشرّور هي "الديمقراطية".

الفِهرس

١ - المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها
المؤلف: د. غالب بن علي عواجي ج٢ ص٧٦١.